قصص قصيرة

القدر وأنا

سماء مصطفى زيدان

obeikandl.com

23

القدر وأنا

سماء مصطفى زيدان

13953/ 2014ط1

الترقيم الدولى /5– 79 – 5311 – 977 – 978

غلاف / محمد انور

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

رئيس لجنة قراءة د/ سالم ابراهيم سالم

مدقق لغوي أ/ أحمد عبد العظيم

المراسلات : 60 ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده – الإسكندرية

ت :01224272327

01022661632

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

الجمعية المصرية لرعاية المواهب

الغلاف إهداء من الفنانة التشكيلية السودانية نجوى يعقوب

obeikandl.com

إهداء

إلى والدي العزيز الدكتور مصطفى زيدان

رحمك الله يا أبي ،أورثتني مناطحة الحياة ....

لو أنك علمتني كيف أصالحها قبل أن تمضي!!!

سماء زيدان

obeikandl.com

obeikandl.com

بيدق

مرصعٌ بظل التاج أقف محشورًا بين أنفاس الحشود،عاجزٌ أنا عن خطوتين يمين أم يسار..؟؟ أسير إلى الأمام، أنظر بحسرة إلى موضع قدمي فوق المربع الأسود،أحلم أن أسير حرًا بلا رُقعة، أحلم أن أسير للخلف .. رقع البياض تحيطني، ظلي الأسود فوقها يرتجف، خصمي يقترب، هدير البيادق يهتز له قلبي،الهواء يتسرب إلى أوصالي مشبع بالضباب وبالقنوط .. من قال أنه لا يمكنني العودة للوراء.. من حكم عليَّ بأن أترك العالم خلفي وأظل أعدو والفراغ يلفني.. ؟؟

تتسع الرقعة شيئًا فشيئًا..تنكشف الفراغات الواسعة..

أين يذهبون؟! ..كانت الخُطة أن نظل صفًا إلى الأبد...أسقط...قعتي تخضَّبت بأحلامي الحمراء الملونة. أكاد أرى خلف رأسي رأسٌ فوقها التاجُ يضطرب.

obeikandl.com

فلان ابن فلانة

أستيقظ على أصوات مختلطة بروائح البخور، وهمهمات غير مفهومة ...أتفقد المكان وجسدي.الضوء ينبعث خافتًا من مكان ما، شموع هزيلة، فوق النافذة الوحيدة غطاء سميك ..لا أكاد أُبصر حولي ...عيناي لاتبصران الألوان ...الصداع يقتلني...أزيز يصم أذني...أنفاس بالغرفة لاهثة ...أتحسس رأسي بيدي وأحاول النهوض...أتخبط....أتلطخ بلزوجة مسكوبة حولي. بجواري طير ذبيح تخرج تلك اللزوجة من عنقه ...أشير لمن حولي ليصمتوا ...تتعالي أصواتهم ..كُن ..كُن...كُن...تتدلى حناجرهم وهم يمدونها بصوت رخيم بارد.يبدو أنهم استساغوا إشاراتي بالنهوض...تمتد يدي أمامي لا أكاد أراها...وسط الهمهمات صوت نحيب أعرفه...تبكي بحرقة ...أنهض ...يصمتون...أتحرك للأمام ...يتراجعون إلى الخلف..خلف سَبَت يمسكون به بينهم...تحُول الأبخرة بيننا ...تمتد يدي للقلم أكتب فوق ورقة معلقة بالسبت. ولا أدري كيف يكتب القلم..من أنا ؟...من أنا ؟

obeikandl.com

-ماذا تريدون مني؟ لماذا ترسلون في طلبي؟
يجيبني الصوت الذي أعرفه...مش عارفني يامحمد؟ أنا سعاد مراتك سبتني ليه يامحمد؟..من بعدك مشفتش يوم خير ... ولادك بهدلوني يامحمد؛ أخدوا مني كل حاجة والبيت ورموني بعد ما أمنتلهم ...دي أخرتها يامحمد ..مش قلتلي ربيهم ياسعاد ينوبك فيهم ثواب ويبقوا زي ولادك من بعدي ...شفت يامحمد ياما قلتلك اكتبلي البيت...ربنا ينتقم منك ومنهم يامحمد...تبكي بحرقةيخيم حولي صمت ثقيل وهواء راكد عطن بجوفي...أنفاسهم ودقات قلوبهم تتخللني ساخنة تخترق برودتي..أحدهم يكتب بالقلم في الورقة المعلقة بالسبت ..أنت روح فلان ابن فلانة..أجيبهم ربما...ربما..أحترق من داخلي ...تؤلمني ذراتي التي لا أراها..
أزأر.....يصيحون في المرأة التي تدعي أنها زوجتي فتصمت لاأدري أين أهرب من صيحاتهم؟..غير أني أحطم النافذة ...أطفئ الشموع ...أريد الخروج...أريد العودة ..
متي مت؟!...كنت خمسينيًا بصحة جيدة ...لم أشكِ يومًا من مرض...لم أستمتع بحياتي كما يجب...ولدت مرة ومت فيها ألف مرة...كنت عتال، بقال، سائق لا أذكر ..لكنني أذكر طعم

الشقاء...أذكر طعم الجوع ودموع أمي وهي تتركني رضيعًا للطريق
أذكر الخوف ووقع لطمات علي وجهي وصفعات متتالية من
أجساد كبيرة وعيون صلبة غائرة..أذكر البرد ولهيب نظرات
الازدراء ..أذكر حرقة في مكان ما بصدري تصاحبني كل ليلة إلي
فراشي ..صدري أين هو صدري؟!
لا أذكر أبنائي ولا أذكر وجهي ..لاتوجد مرآة في الغرفة، تمتد يدي
في الفراغ الساخن حولي فأمسك به...هل أنا حقًا هنا؟! يراوغني
الفراغ ...ينفلت الدفء من حولي، أرتمي
مذعورًا،منتفضًا..يتمكنون مني، يتشبثون بالسبت..أستسلم
لهم...اللهاث يهدأ..يكتبون كلمات ...يسألونني أشياء....هل أجيبهم
لأتحرر من قبضتهم؟ ...أعبث بالقلم ... همهماتهم سياط تحرقني ...
أكتب: نعم ...أترك فراغًا ... يعاودون الأسئلة ...أكتب:لاأدري
تعاودني سياطهم...
معلقٌ أنا بالسبت ...يعبثون بي.. يعاودني الأزيز...أمسك بتلابيب
أحدهم ...أرجوه أن يحررني ...ألطم المصباح الصغير ...أشعل
بالشموع السَبتَ ...تصمت الأصوات ويهدأ النحيب ...أعاود
النوم لعلي أولد من جديد.

الجنيهات الطائرة

يقف بجوار باب الخروج، ينتظر....عيناه تراقباني... وأنا أُخرج النقود من حافظتي وأستلم أكياسي ..

يسرع بخطواته الصغيرة إليَّ ممسكًا بالأكياس من يدي ساحبًا إياها تجاه جسده الهزيل ...أنظر إليه مشفقة، أحاول التملص لكنه يلح بنظرة توسل،أستسلم لعينيه وأرفع يديعن أكياسي.

سيارتي قريبة من باب السوبر ماركت. فقط علينا عبور الشارع ....تتلعثم كلماتي، أسير بخطى توافق خطواته الصغيرة وعيناي تلاحقانه، يعبر الطريق وسط السيارات المسرعة بملابسة المتسخة كبيرة القياس وحذائه الممزق وقد بدت منه أطراف أصابعه...

obeikandl.com

يلقي بنفسه إلى الطريق ...أحاول جذبه ليتمهل، لكنه لا يُعيرإشاراتي اهتمامًا ويكمل إلىحيث سيارتي ويترك أكياسي فوقها ويسارع بالعودة ملتقطًا بأطراف أصابعه النحيلة ودون أن تلتقي عيوننا جنيهًا كاد أن يطير من يدي.

جلست في سيارتي أتابعه عائدًا ...شيءٌما يجذبني إليه ... يعبر الطريق بين السيارات ثانية. وأراقب قدميه تقفزان فوق الأسفلت كقط يعدو بأطرافه فوق سطح ساخن..

على الجانب الآخر من الرصيف أتابعه... أولاد الحي يتقاذفون كرة من القماش ويصرخون ويهللون.توقف متابعًا الكرة بعينيه للحظات قبل أن يلقي بنفسه إلى داخل السوبرماركت. وما إن دخل هذه المرة حتى خرج بعد دقائق محملًا بأكياس عددها يفوق سنوات عمره تهبط بها أكتافه إلىالأرض..تبدو ذراعاه كأقواس محاولًاالارتفاع بحمله عن الأرض ينظر للأكياس وللطريق ..

obeikandl.com

يبصق فيديه مرطبًا كفيه ثم يعلق عينيه بالجهة الأخرى من الطريق ويعدو...تتخبط الأكياس بقدميه ويوشك على السقوط صاحب الأكياس ذو الجثة الضخمة ينتظره أمام سيارته بصبر نافد

يصل بحمله إليه أخيرًا ويلتقط منه جنيهًا طائرًا ويعدو به إلى مأواه؛ مدخل السوبر ماركت، لكنه هذه المرة لا يدخله وإنما يقف إلى جوارعربة تفريغ صناديق زجاجات المياة الغازية أمام المدخل...

منتظرًا دوره بين عدد من الرجال يقف أمام الصناديق المصفوفة بانتظارمن يحملها..يأتي دوره، يحمل فوق رأسه صندوقه الأول... ثم فوقه الثاني، يترنح محاولًا التوازن، يثبت أقدامه على الأرض متشبثًا بها، يسير بضع خطوات إلى المدخل ...شيءٌما يوقفه عن الحركة كأنما تجمدت أطرافه، وتتحرك الصناديق فوق رأسه محدثةً جلبة تلفت إليه الأنظار...تتأرجح ....وينادي العمال اسمه...محمد ..محمد.... ومحمد لا يجيب... يندفع محمد إلى جانب الطريق حيث

الأولاد والكرة .. يحوم حولها ... يثبت عينيه فوقها وهي تطير فوق رؤوس الأولاد ..تحلق ذراعاه عاليًا كجناحي طائر وترتفع رجله اليمنى لتلتقط الكرة من الهواء ... تتطاير الزجاجات وتتناثر الشظايا ...يلتقط الكرة ويقذفها بكامل عزمه بباطن قدمه... ويسكنها الشباك.

obeikandl.com

المهرج

اليوم يوم عطلتنا ... تُسابق ريم أخاها الصغير إلى فراش الأب، فقد تناوبا على إيقاظه لمدة ساعة كاملة قبل أن يفلحا أخيرًا فاليوم هو يوم السيرك ورحلة المدينة كما وعدهما... يستسلم الأب وينهض.

يصطحب أولاده إلى مكان عمله اليومى حيث سيلتقون قبل العرض بالعم فرحات مهرج سيرك المدينة وأعضاء فرقته الموسيقية، فهم يبدأون عملهم عند السادسة مساءًكل يوم من أيام العطلات.

تجلس ريم وأخوهابصالة العرض داخل الخيمة الكبيرة الملونة الممتدة والمرتفعة السقف وقد امتلأت عن آخرها بجموع سعيدة بين يديها ألوان من الحلوى و البالونات، ويدخل فرحات وسط صخب الموسيقى النحاسية المزعج بملابسه الفضفاضة الملونة وبنطاله القصير وحذائه الأحمر الكبير ووجهه الضاحك المغطي بالمساحيق

obeikandi.com

وأنفه الأحمر الضخم، وبيده كرات حمراء صغيرة يقذفها في الهواء فتعلو كطيور ملونة ثم تعود فتدور بين يديه ويلتقطها ويخفيها بأكمامه فيصرخ الأطفال ضاحكين.

ثم يعدو وسط الحلبة وهو يعرج عرجته المحببة ... فترتفع الضحكات في جنبات خيمة السيرك الكبيرة. تبدو ريم وأخوها بغاية السعادة ويصفقان بملء أكفهما.تملأ عيونهما الفرحة والانبهار؛ فعم فرحات يسير على الحبال في توازن مدهش، وعندما ينحني لتحية الجمهور يركله الرجل الضخم فى مؤخرته فيتدحرج ويعلو صخب الضاحكين إلا ريم تبكي وتغمض عينيها وتترك لنفسها برهة تتنفس فيهاقبل أن تعاود فتحها وتسرع بالتهام ما بين يديها من حلوى ويسقط ما تبقى فيلوث ملابسها...

وتمتد الفقرة فيصفعه الرجل الضخم ثانية ويقع عم فرحات على الأرض، فترتفع ضحكات الأطفال، ويعيد صفعه ثالثة فيترنح ويعاود السقوط ويزداد الناس ضحكًا ... وتنتحب ريم وتغلق عينيها بيديها الصغيرتين ويبكى أخوها متأثرا بحالها ولا يلتفت إليهما ممن حولهما أحد؛ فالضجيج يصم الآذان والضحك يعلو ويعلو..

وتتلبس فرحات نشوةإسعاد الجموع ويزيد فقرة فيقف فوق الحبال

يتراقص،ويُسقط نفسه فوق الشباك المتمزقة عمدًا ويقع أرضًا وتخفُت أصوات الجموع ترقبًا ثم يعاودها الصخب حين يترنح واقفًا وقد زادت عرجته المحببة من ترنحه. في نهاية الحفل يلتف حوله الأطفال يضحكون ويجذبونه من سرواله الضخم وأنفه الكبير تنتظر ريم مع أخيها بعيدًا حتى تذهب الجموع ثم تعدو إلى العم فرحات وتقبله. يمسح دموعها بمنديله الكبير الأبيض، ويهديها أنفه المستدير ويُضحك أخاها قبل أن يذهب ويتركهما بصحبة أبيهما صديقه الضخم ورفيق فقرته .... يصطحب الأب طفليه إلى المنزل بعد يوم طويل من العمل. لا يكاد يقوى على الحديث تتابعه عينا ريم وتراقبه حتى أغلقت عينيها ونامت ويدها تحت وسادتها وبها الأنف الأحمر الزاهى .... يعود فرحات إلى منزله وحيدًا فوق سطح بيت متهالكًا، في يده رغيف وقطعة جبن، يتناول طعامه، يرفع قدمه اليمنى فوق الفراش فيزيح عنها الغطاء لتبدو من تحته ساقه الخشبية؛ قسمته من حرب خاضها فى شبابه، ينزعها ويضعها على الفراش بجانبه، يتحسس خده المتورم من أثر الصفعات .. يتدثر بالغطاء .. ويخرج صوتًا من تحت الغطاء، ضحك مموه بالنحيب.

القدر وأنا

لازلتُ أذكر نفسي وأنا صغير وبكل دهاء الأطفال أقرر أن أتلاعب بقدري معتقدًا أنني لو غيرتُ طريق عودتي للبيت أو موعد استيقاظي أو ما خططت لنفسي فيوم سابق فإنني أكون قد نجحت في تغيير قدري، صغيراًكنت للحد الذي لم يسمح لي بفهم أن فكرة تغيير قدري لم تكن من البداية سوىقدري واختيارى الذي قدره الله لي، فثمة حد فاصل كبير بين قدري الذي أعلم وبين علمبقدرى، فأي قدرٍ اخترت أنا أم أي قدرٍاقتادتنى له أقدارى لا أعلم، ولكنها أقداري تحدث وإن دبرتُ لها أو عاكستُ تدبيرها.

ولم أكن أعي يومًا أن طريق عودتي المعتاد لم يكن قدري وأن طريقي الذي اخترته في خلسة من روتيني المتكرر لم يكن سوى قدري المحتوم .. فأي قدرً هذا الذي قادني للبحر يومها؟ جلست أمام البحر أرقبه، وكنت أفعل كلما طرأ على حياتيما يعكرها، فالألم

كموج البحر يُذهب بعضه بعضًا وينحسر ليضرب من جديد، أرقد على الشاطئ فأتوحد والبحر وأتوسد الموج وأترك لمخيلتي العنان لترسم أقدارًا غير التيأحياها علها تتلون بزرقة السماء أو تستدفئ بلهيب الشمس، ثم أمكث حتى الغروب ألملم ما تبعثر منى، وأعود ممتطيًا بعضًا من أحلامى أعاهدها البقاء من أجلها.

يومها بقيت حتى ساعات الصباح الأولى واستيقظت ونسمات الفجر تداعب وجهي،وسرت بجسدى قشعريرة جعلتنى أنتفض واقفًا أنظر للواقف أمامى يحدق بي،وبدون أن يتحدث أشار ليأنْ أتبعه، وتبعته،وبينما أسير خلفه بلا مقاومة تُذْكَر أتأمله كهلًا فى عقده السادس،مُنحني الظهر يبدو عليه الإرهاق وبه عرجة لا تُقوِم رأسه أثناء سيره، فاخر الثياب، تفوح منه رائحة عطر كأنه تحمم به للتو،يعتنى بشعره ويثبته كلما عبث به هواء البحر، ويضربالأرض بعصاه كلما فقد توازنه أو عاكسته الأرض التيطأها. توقف برهة يلتقط أنفاسه مما سمح لى بسؤاله..

"هل تعرفنى؟؟هل تريد منى شيئًا؟"

ولم يجب وإنما أكمل سيره باتجاه فندق مقابل للبحر لا يرتاده سوى الأثرياء ما كنت أحلم بالمرور أمامه فضلا عن دخوله

بملابسى المبتلة الرثة، اقتادنيإلى حيث نجلس فى بهو الفندق في ركن ناءٍ بجوار إحدى النوافذ المفتوحة حيث يطالعنيالبحر وأشعة الشمس الأولى تداعب صفحته ...

"من هنا دايمًا بشوفك راقد ع البحر صايع... جبتك هنا تكون سواق ومرمطون وجاسوس، أنا كل اللي بيشتغلوامعايابدفعلهم كويس وبيطمعوا زيادة، لو قبلت عرضى ادخل البس البدلة وإياك كلامي يخرج من بيننا"

اكتفى الرجل بما صرح به وأشاح بوجهه صوب البحر تاركًا إياي مدهوشًا بكلماته ومباشرته...تمتمت بكلمات فلم يعيرنى اهتمامه، عبثت بالجرائد أمامه فاكتفى بنظرة تحذيرية جعلتنى أنتفض واقفًا أمامه للمرة الثانية وخرجت كلماتى مبعثرة من فمي كقدر أخر بالموافقة.

لسنوات تلت هذا اليوم خدمت الرجل ولم أجد منه إلا كل ما وعد به من بذل وعطاء وحرص على من يعملون معه، ولم أتذمر يومًا من طلب له حيث إنه كان قليل الكلام والتنقل .... ولم أنتظر منه سؤالًا عما يدور من حوله، فقد كنت أتطوع دائمًا بجمع كل ما يمكننيمن أخبار وحكايات ومعلومات وصور أحيانًا للعاملين

والنزلاء على حد سواء، ولم أتوقف كثيرًا عند نظرات من حوليفقد كنت أدين للرجل ببذلته الزرقاء الأنيقة وعطره الذى لاتفارق رائحته أنفي .....

لكنني وبعد سنوات حين توفيرأيت فى جنازته عددًا من السائقين بِبزات بذات اللون والهيئة التي أرتديها، وكنت ألمحهم بالبهو أحيانًا فأتعجب ما يبقيهم بلا عمل ثم أتلهى بشأنيوأستمتع بما منحته لي أقداري.

obeikandl.com

القطار

أرقد فوق قضبان القطار أُسند رأسي بحجر وأنتظر...أنظر إلى السماء وأُغلق عيني للشمس لم أعدأرغب في رؤيتها؛ اكتفت من حرارتها عيوني ... تلتهب جفوني بحر الظهيرة...أُغالبها وأُفسح للشمس فسحة ...قد يكون آخر عهدي بالدفء.أترك وجهي للذباب ربما هي وجبته التالية ... أُبرد لساني بالقضيب الحديدي وأحك به أنفي ....يداي ناعستان ورجلاي بالكاد أُحرك منها أصابعقدمي داخل حذائي البالي، اشتريته فقط منذ عام ..

عامٌ كامل مر قبل وداعها ...بذات الرصيف وقفت حلوتي سارة وأمها تلوحان لي لازالت صورتها بجيبي ودموعها تتمنيان عليأن ألحق بها ...قبل أن أودعها أقسمت لها أنه عام واحد أستعيدها بعده....وهأنذاأرحل إليكما .... عامٌ مضي منذ احترق بكما القطار واحترق فؤادي معكماترتج الأرض تحت رأسي....صدىأصوات

obeikandl.com

المسافرين يصم أذني .... اقترب قطار .... تتزلزلأرضي كما عهدتها منذ رحيلكما ..إلى الصعيد.... حيث مسقط رأسي أذهب كل عيد. بين حقولي أتنفس وأخرج من رئتي هواء المدينة فأسعل ...من طين المساقي كنت أصبغ قدمي وكف يدي وأجلس حتى المغيب حتى تتسلل إليّ برودة الطين من أرضي .... هي غاضبة كأمي التي لم تصبر حتىأعود وماتت بين حقولها غامسةً يدها بموضع يدي .. أكاد أشم ريحك أمي كما شممته يوم مات أبي، وأرسلتإلى معلمي في الصف ليبلغني ودارت أرضي وأنا أسمع الهمس بينهما، وأشعر فحيح الكلمات قبل أن تقع بأذني فتنهي عهدي بالأمن وتخرطني رجلًا، وانتهى كل شيءٍ بساعات تاركًا طيني مغصوبًا وغصة ترتكز بين حلقي وقلبي .... المدينة تلقفتني بين ضجيج الشوارع الضيقة والنظرات المستريبة وشحيح الرزق أنفقت فيها سني شبابي...

حتى قدومك سارة صار رزقي أن أحببت أمك وصار كل طيني هو الذي تلعبين به بين يديك وتبسمت لي المدينة ... وأنفقت عليّ من خيرها..وتنقلت من مدينة لأخرى معكما .....حتى التهمتكما مدينة. أقسمت أن أنتقم منها بأن أترك لها دمائي

تؤرقها.لا أحمل معي بطاقة هُوية لا حاجة لي بها. منديلي وعملات المدينة المهترئة وربابتي بجيبي لا تفارقني، وخلخال أمي الذي أخرجوه لي يوم وداعها وددت لو تلبسيه بعدها...لا يزال المارة يصرخون وصافرة القطار تصم أذني ...وترتج الأرض أكثر فأكثر ثم ..تتخافت أصواتهم حتاختفت ...وانتهكل شيء...وأنظر إليّ .. بلا غصة قلبي ...يداي تحررتا ورجلاي تتحركان كنسيم ... حذائي البالي سرقه أحد المارة ....وربابتي كُسرت ...خلخالُأمي لا حاجة لك به سارة ...فقط لو يتركون منديلي أمسح به عرق الخوف...عيناي تبرقان للشمس لا تخشيان وهجها وفمي المفتوح يُنبئني أني لن أكتم ألمي بعد اليوم ...

obeikandl.com

الأزرق

تحرك القطار وببطء معهود ..تعلقت عيناها بالطريق تعد أعمدة الكهرباء مضاء ثم مضاء ثم مكسور ثم مكسور ثم منطفئ ثم مكسور ثم... حتىأسرعت حركة القطار ولم تعد تحصي أي الأعمدة مضاء.... أغمضت عينيها وأسندت رأسها للنافذة ولبرهة استسلمت لغفوة استفاقت منها فزعة متشبثة بحقيبتها السوداء الجلدية بالية اليد. مترهلة الوسط غرست أظافرها بصدر الحقيبة تكاد تعتصرها وتلصقها ببطنها العاري إلا من ثوب باهت اللون لا تدري أهو الأصفر أم الرمادي ..

التفتت إلى الجالس بجوارها ونظرت تتأمله بريبة وقد التصقت عيناه بالحقيبة وأطال النظر إلي يديها وأظافرها المتشبثة بها...تحسست أشياءها البارزة من وسط حقيبتها المتخمة ...هنا شمعدان مذهب من أوروبا وهنا علبة الصدف المطعم من تركيا وعلبة خشب الورد من باكستان بها ماساتهاالأربعإحداهن صفراء

ماسة صفراء كم كلفتني تلك الماسة من سنواتكد وعمل ...!!

وجه مجعد تعِب ويدان مرتعشتان وحقيبة متخمة بالنفائس .. هكذا رآها الجالس متربصًاإلى جوارها يرقب اللحظة المناسبة لينقض على يديها ويجذب الحقيبة ويعدو إلي باب القطار لينطلق قبل أن يغادر القطار الرصيف القادم. تعرق وهو يفكر في الجالسين حوله هل يمسك به أحدهم!!

بجوارها رقد شال صوفي أزرق كعيون البحر مخاطةٌ أطرافه بعناية ومزركشٌ بأحمر ياقوتي كأنما لفحته نيران بركان ...

التقطته تلتمس الدفء لازالت به رائحة منزلها ومطبخها ورائحة سنواتها ...وعطره وأنفاسها ...ربطت طرفه بيد الحقيبة بإحكام ثم تلفحت به ...الأزرق حول عنقها يبرز لون عينيها البنيتين ولون شعرها الداكن وقد تسرب إليه بعض البياض. نظرت إلى رصيف المحطة يغادرها والقطار يسرع ...تخدرت ورائحة عطره تتسرب إلىأنفها من الشال مختلطة بأنفاس البن وبهارها من الهند وبقعة من صلصة المكرونة من إيطاليا. جذب المتربص الحقيبة من يدها بقوة وأسرع إلى باب القطار قبل أن يغلق، جاذبًا بكل قوته بيدها يد الحقيبة وبيده كل سنواتها توقفت لبرهة عن التنفس وهو يجرها

obeikandl.com

مع الحقيبة أسرعت بحل ربطة الشال ...

تركت له الحقيبة واستلمت شالها تلملم منه الخيوط المبعثرة وتعيدها إلى حيث تسكن.

obeikandl.com

شهرزاد

فلما كانت الليلة الأولى بعد الألف.. وهي تجلس فوقوسائدها الوثيرة يحيط بمجلسها الخدم والجواري الناعسات الناعمات بملابسهن الحريرية وزينتهن البراقة والمباخر بأيديهن كنجوم تشتعل ...وهي تعبث بين أصابعها بمصباحها المضيء ولؤلؤها المتناثر وفراشها المخملي يتهادى كبساط طائر يتراقص بوقع أنغام خرير الماء المنساب تحت الفراش...والورد تناثرعبيرهوالأبواب المذهبة تضيءكالمصابيح... وغُلِقت النوافذ ومن خلفها هدوء المدينة وليلُها الساكن،قالت بدلال ...بلغني أيها الملك السعيد ذوالعقل الرشيد والرأي السديد أنه كان في قديم الزمان من سالف العصر والأوان امرأة جميلة في قصر مهجور فوق جبال بعيدة تسكنها وحيدة...

نظرإليها الملك مشدوهًا مفتونًا بجمالها الأخاذ وعطرها قد ملأجنبات رئتيه وفاح حتى تنفسه شهيقًا وآثر حبسه بين أضلعه، وألقى عمامته وبها رأسه فوق ركبتيها وأغمض عينيه وتنهد وقال ...جميلة ووحيدة؟!! سأنام وغدًا أكملي الحكاية...

أشارت بيديها فسُمعت بالأصداء عزف نغمات وليدة خفيضة تراقصت على وقعها أضواء المصابيح وهي تجلس بين يديه وفي زينتها تتلألأ كنجم يشتعل في ليلة صافية. وخلا الفراش إلا من نسمات صيف تخرج مع زفيرها وبين يديه من طعامها وشرابها ألوان.نظر إليها ورموشها الناعسة كستائر فراشها مسدلة بدلال فوق عيونها التي تتفرس وجهه بدهاء وتعبث بشعرها وقد أطلقته ورداؤها المزركش بألوان الربيع قد رتبته وطوته فوق ركبتيها وصارت تحرك قدميها بإيقاع منتظم فيسمع همس خلخالها وأساورها من بين أحرفها....

قال متثاقلًا وهو متخم العين والأذن والبطن: حدثيني كيف كانت تلك الأميرة وأطيلي حديثك حتى تغلبيني أو يغلبني النعاس أو أنادي سيف مسرور ....

قالت وهي تشير إلى مسرور بالخروج من المجلس:

يا مليكي ومولاي ومبتغاي إنّ تلك الجميلة نامت ألف عام.

قال: يا عجبًاأحقا؟ وكيف كانت تأكل؟!!

obeikandl.com

قالت وهي تنظر لعيونه الناهلة من حديثهاوبصوتها الرخيم:

بل نامت ألف ألف عام ...بل كانت من الجن محروسة بل كانت تحت عيون كبير الجان. وحول قصرها ثعبان مأمور من غالان المحبوس في قمقم له سر لا يعلمه إلا ملك الجان الذي امتلك القمقم وأصبح المردة في عهدته يأتمرون بأمره. فوقع العباد في قبضته يظلم ويبغي كيف يشاء، ولكن فوق كل ذي علم عليم ..

قال وهو يعتدل في جلسته: وهل أحبها ملك الجان؟

قالت: نعم وتزوجها فلما كان من أمرها ما كانعلم وغضب وبغي عليها.

قال: وما كان من أمرها ما أغضبه؟نظر إليها وقد ترك يديها ترتب فراشه لينام وترفع عنه الوسائد وتدثره بالغطاء.وقال بنعاس:ألن تكملي حديثك؟

قالت:أمامك غدًا في السوق بين الرعية يوم طويل....سأنادي مسرور ليطفئ المصباح..وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

آخر الليالي

الليلة آخر الليالي في هذا البلد الغريب،لملمتُ متاعي، بضع حقائب، بضعة جروح، كثير ألم، أغمض عيني كي أُبعد الذكرى عن حاضري،أضرب علي صدري فأسمع صوت الهواء يتردد صاخبًا... ساخرًا... تلك الأركان والفراغ...الأشباح تضج بالفراغ، يبدو كل ما حولي لغيري، أحدق في القمر، هل يسترخي وهو يشاهدني أتوسل صحبته، صدى البحر يرهق أذني، حين أراه هناك؟هل سيكون هو هو؟! أزرق وعميق وهادر، أمواجه تتكسر على الأحجار الملقاة قرب الشاطئ، يبدو الشاطئ شامتًا، الموجة تأتيه زاحفة تلو الموجة، يدفعها بغضب لتلقى ذات المصير ثانية، وفي كل مرة تعود إليه بإصرار أشد.

الهاتف صامت أصم، نباتات الزينة بالبهو خلف الباب تبدو صفراء، قررت تركها لصديقتي الوحيدة هنا سترعاها كأنها لها، أغلقت النوافذ لأنام...الهواء يحمل لي
همسًا....من..لماذا..هل...كيف ...؟

أفتش بين أوراقي الثبوتية قبل الرحيل عن الوطن، نحمله بداخلنا أم يحملنا بجوفه، إن شاء يتجشؤنا ويجْتَرُّنا ويتقيؤنا وربما نحن في جوفه محض نفايات.

ضاقت تلك البلاد الغريبة بي، أنا وحدي قررتْ أن تلفِظ، لكنها تتلقف كل تلك الألسُن التي لا تفقه حديثها اليومي، يُومئ البائع برأسه،ويشير الطبيب بإصبعه،ويبصق السائق تبغه ...فقط ليعلمونني أن إقامتي بينهم قد انتهت.

من خلف نافذة السيارة المغلقة تبدو تلك البلاد هادئة، رحبة، مضيئة، الطرقات لاتهدأ، عيون المارة تتبعني لتستوثق من مغادرتي.

الطائرة تضيق كلما اقتربت من الهبوط،ضحكات الأطفال وصراخهم يعيد إلى أذني ضجيج جرس المدرسة،ورائحة الخبز الطازج بالفناء، الأصدقاء يتشابكون كتلًا تتدافع ترتدي لونًا واحدًا ..الزي المدرسي.. الدَّمُّور المتسخ ببصمات الزيت والحلوي، أسماء فوق الجدار نكتبها ونزينها بالزهور والقلوب، والتواريخ ..اليوم يوافق تاريخ مروري بالجامعة لأول مرة كي أتقدم بأوراقي، تبللتْ عرقًا وأنا أكتب رغبتي الأولى... أنأظل هنا ...تتعجل

الطائرة الهبوط، تلفظني من جوفها إلى أرض الوطن، أتلفت حولي وأنا أُبرز لضابط الجوازت أوراق إقامتي....يتعجب وأنا أضع بيديه زجاجة عطر ياسمين"سكرية" كنت قد حملتها قبل أعوام الشباب...تركزت بالقاع كما سنواتي الباقية.

لدهشتي لم يفتح الحقيبة، تركني أعبر وهو يلاحق خطواتي المتعثرة ونظراتي الحائرة ويتعجب لصوت الأمواج المرافقة لخطواتي.

في الطريق السائق يبتسم بفمٍ خالٍ من التبغ، والبائع ينادي بصوت جهوري، الضجيج يخفي صوت الموج.

"ليلة مقمرة كحال كل ليالي الفراق" .... قال السائق بشجن، وهو يفتح النافذة إلى جواري وينساب الهواء منها ناعمًا محملًا بذرات غبار ناعم يخترق عيني وأنفي ... "ابتسم فأل حسن ...القمر مكتمل " ردد وكأنما يحادث نفسه ...

الجيران لم ينتبهوا لصوت الباب يُكسر لأدخل، قد نسيت المفتاح، أُلقي بأحمالي إلى جوار الباب وأُغلقه، أجلس إلى دفاتري، أعبث بسنوات مضت... مفكرات،أزهار مجففة، أشعار، صور لمشاهير، كروت معايدة، وخطابات لم أتمكن من الرد على أصحابها

في وقتها،الضوء خافت، الفراش مزين ببصمات الزيت والحلوى ورائحة الخبز الطازج .. جرس المدرسة لايزال يصاحب تكسر الأمواج في رأسي.قضيت ليلتي الأولى أحلم بأنني أردد النشيد الوطني وصوتي عالٍ... أعلى من صوت بيانو الأستاذ حسن مدرس الموسيقى بالمدرسة. وكنت وحدي أنشد النشيد.لما نهضت من الفراش كنت مبتورًا وكنت ناقصًا... لكن ما بقي مني كان يشبهني ولم يلاحظ أحدٌ شيئًا.

obeikandl.com

الأُرجوحة

تضحك في الأرجوحة تتمايل.. تصرخ، تندفع الأرجوحة إلى الأعلى يتسارعنبضها....تصرخ، تنظر للسماء وللنجوم تتمنى أمنية تعرفها مستحيلة،تغمض عينيها ولبرهة تحلم،تتقافز البسمة في شفاهها،تعلو الأرجوحة ثانية..تصرخ..يذهب الهواء ببعض صوتها بعيدًا....في الأعلى نسائم الهواء البارد تلفح وجهها تُدمع عيناها في الأعلى الفرصة سانحة لانفلات بعض الدمعات .....يندفع الهواء الباردإلى حلقها فيُصمتها عن الصراخ،ترتعد خلاياها وهي تنظر من الأعلى.الأضواء والبشر تبدو كرؤوسالدبابيس غير أنها تتحرك.

تغمض عينيها وتحلم ...كيف لو أنه بين هؤلاء البشر ينتظرني؟ كيف لو أنه ينظر إليَّأو يسمع صراخي؟....كيف لو أنني أناديه فيرد عليّ؟...سارة ....سارة ... انزلي ...انزلي ...تناديها رفيقاتها ...تنتبه وتهبط ثملة بدوار الارتفاع. تترنح وعيناها تبحثان بين الجموع..عنه..لم يناديه حلمها..ولم يأتِ....تعد المارة في طريقها

للخروج في كل الوجوه تراه .. تجذب شعرها من منابته لتستفيق، تجذب نفسها من بين الضوضاء، تعدو في عجلة ..إلى الطريق ..تترك ساقيها للسلم الخشبي يدفعها... تنهيه ....

تفتح بحذائها أبوابًا مؤصدة حتى تصل غرفتها وتغّلق الأبواب ...

تفتح خزانة ملابسها ...تعبث في أوراق الكوتشينة ذات النقوش لتستنبِئُها تستنطِقُها تعيد ترتيبها مرات ومرات ... متي يأتي ؟... أوراق الكوتشينة

لا تستجيب لإلحاحها في كل مرة تعطيها ذات الرد لن يأتي تبعثرها...

سأذهب إليه أنا ..أمام المرآة تتلو كلماتها المنتقاةبعناية ...تلتقي عيناها بعيني ساكنة المرآة .. تشيح بوجهها عنها..تضع نظارتها الطبية وبعض الأصباغ لوجهها ..الآن كل شيءيبدو بخير ..

بين المصعد والطريق تتلفت لغناء بنت الجيران، يالنعومة صوتها ..تبتسم لها، تلوح لها، تتعلق عيناها بكفيها الصغيرتين كقناديل تضيءسواد ليل البحر الهادر، تتبعها بعينيها حتي تغيب، تصل مسكنه،تزيح من طريقها الأبواب، تتخبط قدماها وتتعثر .. تكاد

تسقط .... تستندإليه .. تسري البرودة في قلبها ...

تقف أمامه معاتبة .. تتلو كلماتها المحفوظة ثم ترقد فوقه .. فوق الرخام البارد.

obeikandl.com

حين يقفز العصفور

يجلس محمد على سريره بجوار نافذة غرفته مستترًا خلف الستائر الداكنة يراقب عصافير حطت بالشجرة المجاورة لنافذته منبهرًا، ومحاولًا ألا يصدر صوتًا يخيفها.يبقى على حاله لدقائق قبل أن تدخل إليه أمه موبخةله على تأخره عن ميعادمدرسته"ماما ليه العصفور مش بيمشيبينط بس؟ يتساءل "محمد" بدهشة.

تصمت الأم محاولة إيجاد إجابة مناسبة ثم أخيرًا تجيبه "ربنا خلقه كده يا محمد"، لم تُرض الإجابة المقتضبة محمد الذى بلغ عامه العاشر ولا يزال يتشبث بحلمه أن يصبح طيارًا كأبيه الذى توفي فيإحدى مهام عمله، وتركه لأمه التيتعمل ومنذ الصباح فإحدى المشافيكممرضة وتضطر أحيانًا للمبيت وترك محمد وحيدًا بالمنزل.يذهب الملل والرتابة بمحمد فيصفه الدراسيإلى حيث الشجرة والعصافير، وقد اختمرت بذهنه فكرته الأولى كيف ينقذ العصفور من عاهته المستديمة ويهبه تميزًا بين أقرانه على الشجرة.

وينهى يومه بتثاقل ويمضيإلى المنزل حيث يلقى أمه بعينين زائغتين ويسألها عن ملابسها القديمة، وهل تسمح له بالتفتيش بينها عن قطعة تخص أبيه، وكعادتها تجيبه "موافقة يامحمد". وفى المساء يجلس محمد وحيدًا وقد ألقى بقطعة من القماش التل حول أفرع الشجرة ولفهابعناية حتى تشابكت بين الأغصان، ثم خاطها بخيط رفيع مادًا إياه إلى النافذة وكلما مر بقرب الغصن عصفورٌ جذب محمد الخيط ولساعات ظل يكرر محاولاته حتى انتهى بين يديه عصفور صغير جذبه إليه بالخيط الممتد إلى الشجرة وأمسك به فرحًا، وربت على أجنحته ثم أدخله إلى صندوق مثقوب وجلس أمامه لساعات يرقبه. وقد ركن العصفور خوفًا إلى أحد جوانب الصندوق واستكان حتى ظن محمد بموته، ثم أطعمه بضع حبات من قمح أزالت الخوف من نفسه فتحرك إلى وسط الصندوق والتقت نظراتهما بعجل قبل أن يحاول العصفور الخروج من صندوقه فيردعه محمد بضربة على رأسه ثم يخبئ الصندوق أسفل السرير وينام ملء جفونه هانئًا بما حقق.

فى الصباح يوقظ صوت العصفور المستغيث الأم بنقره المتكررعلى جوانب الصندوق وصياحه كأقرانه على الشجرة"ليه يا

محمد حابس العصفور خليه حر " "أنا هخليه يطير لكن خليه معايايوم واحد بس أرجوك يا ماما."

تتردد الأم، ولكنها تتركه وقد رأت كيف تشبث محمد به، وكيف أطعمه. تتركه فى يوم عطلته وتمضى إلى عملها.

وبتأكده من خلو البيت إلا منه والعصفور يقفز محمد سريعًا إلى درج الخياطة ويخرج خيطًا سميكًا. يصارع العصفور لساعات ويتحمل نقرةأصابعه قبل أن ينجح فى ربط إحدى رجلى العصفور إلى بطنه ليجبره على تحريك رجله اليمنى أولًا ليمشى بها وحدها ثم اليسرى ليمشى بها وحدها تارة أخرى.

ولأيام صمد العصفور لتدريبات محمد قبل أن تنكسر إحدى رجليه بين أصابع محمد ويسقط فى قاع الصندوق .

يبكى محمد وقد أشفق على العصفور من آماله التيلا يفهمها بأن يهبه حياة أفضل وتميزًا بين أقرانه، فيتركه فوق الغصن خارج النافذة بالكاد يقوى على الحجل بعرجته، ويقفز بها فرحًا بحريته رغم عاهته بين أقرانه.

الجنة بلادي

تجلس ليلى بجوار زوجها تحادثه هامسة "وحياة النبى ما تخاف، الولاد فطروا وراحوا المدرسة وبالليل عندهم درس العربي أنا استلفت إيجار الشقة من أختي وهرده من المعاش أول الشهر، ودفعت قسط الثلاجة من إيراد الأرض. أبوك بخير بيبكى لكن صحته كويسهبيصحى من الفجر يصلى ويدعيلك،أنا اشتريت حلاوة المولد عشان أفرحهم كلهم كل سنة وولادك بخير ومصر بخير، بلدنا اتغيرتزى ما كنت بتحلم طول عمرك الناس اتغيرتواتعلمت تقول لأ"

يطير وشاحها الأبيض تلتقطه بأصابعها النحيلة تصافحه مودعة، تقرأ الفاتحة وتمسح وجهها الباكيبكفيها، وترحل تاركة باقة من الزهور فوق الرخام البارد

تمضيفي طريقها المغبر تتعثر قدماها النحيلة.. تكاد تسقط ..لا تكاد

ترى الطريق أمامها، تتوقف لتلتقط أنفاسها، تنساب دموعها ساخنة وهيتراقب الطريق

لا سيارة تقلها بعد أن غابت الشمس... ولا حافلة تمر من الطريق ...بمضيالوقت بطيئًا، تجلس على إطار قديم في الأرض وتتمتم...

" يا محمد سبتنى بحِمل تقيل ما فكرتش فينا ليه زى ما فكرت فى الناس الغلابة؟ كنت كتبت جواب تقول لى أعمل إيه من بعدك!! أقولك أيه ..... الله يسامحك "

يقترب منها صبيٌّمن الحيويسألها.. " تحبى أقول لأبويا يوصلك للعمومي"

توافق مسرعة يعود بعد دقائق بصحبة والده راكبًا فوق عربة كارو. يبتسم مادًا لها يده. تركب ليلى ويتحرك الحمار جارًا العربة بتثاقل تتنسم نسمات الغروب. ورغما عنها تنسكب منها عبرات الرثاء للذات. يمد لها الصبي يده ببضع تمرات جافة تلتقطها شاكرة وترد له البسمة من بين دموعها وتراقبه عن كثب، يبدو وسيمًا لم يتجاوز العاشرة، نحيلًا، مغبرًا، رث الحال، تبدو عليه علامات الشقاء

obeikandl.com

وقد خط الطريق على وجهه ملامحه. تشفق عليه ثم تنظر للرجل ممتعضة وقد ارتسمت القسوة فى وجهه ولايكاد يغفل عن سوطه.

وقد ألهب به ظهر حماره. وتتعجب كيف لهذا المتجرد من المشاعر أن يربيمثل هذا الصبي؟ وتتذكر كيف كان محمد يحكيلها عن معاناته مع أهالى الحوش ليسمحوا له بتعليم أبنائهم حتى يتمكنوا من العودة للمدارس.

تمضي دقائق قبل أن تودع الصبيمؤكدًالها أنه سيهتم بالحوش ويرشه يوميًا حتى تعود الأسبوع القادم.

تستقل ليلى الحافلة إلى منزلها تستند برأسها إلى النافذة وتغفو رغمًا عنها تداعب ذكرى زوجها.. أحلامها ... "ماتخافيشياليلى أنا دايما معاك" ... تستيقظ فزعة على صوت السائق ينبهها لمحطتها تأخذ حقيبتها وتذهب...

ولاتزال صورة زوجها في أجفانها، تدخل إلى البيت، ترسم ابتسامة ودودة على وجهها.

"إزيكياحاجأحضر لك العشا؟ .. الولاد ناموا؟ ..أنا زرت محمد النهاردةوطمنته عليك". يقابل الرجل كلماتها ببسمة وفى حلقه

غصة من الألم يبتلعها ثم يجلسها إلى جواره "المرة الجايةأجى معاك".تنظرإليه مشفقة ثم تومئ بالموافقة. تمر لحظات من الحصار يختبئ كل منهما وراءها قبل أن تختلط دموعها بذكريات المرات الأخيرة التى جلس فيها محمد معها قبل الذهاب لرحلته الأخيرة.

يُذَكرها الجد بنكات محمد التيكان يطلقها ثم يبدأ هو بالضحك عليها فينضموا إليه سريعًا، وكيف كان يقرأ الجريدة لأبيه كل صباح ثم لا يلبث أن يقطب جبينه ويتسائل لمصلحة مين؟ وإمتى نتغير؟

يناما هادئين وقد بات محمد حيًا بينهما تلك الليلة ورائحة عطره تكاد تشتم فى كل ركن من أركان بيتهما الصغير وكأنما تقتات روحه على ذكراه بينهما لتبقى مؤنسة وحارسة ومطببة لجرح الفقد النازف.

" صباح الخير يا ماما أنا اتأخرت ومش عايزاستنى علي هو كل يوم بيأخرنى."

"استنى أنا هوصلك أنت وأخوك للمدرسة "...." وماتتكلمش كده على أخوك لو كان أبوك عايش كان زعل منك" ...تنهى ليلى استعداداتها للخروج وتصطحب الولدين وتخرج مسرعة وبينما

تهبطالسلم تقابلها جاراتها مرحبات.تمضي فيطريقها وعلى رأس الطريق تلحظ تجَمُّعًا للعمال أمام المقهى ...

يطالبون معلم القهوة بالإسراع فى عمل وجبات ساخنة؛ ليذهبوا بها إلى مصانعهم. تقفز فكرة إلى رأسها. مهللة ترسل ولدها "علي"إلى عم أحمد معلم القهوة ليأتيَ به إليها. تحادثه ليلى: "أنا عاوزة أساعد معاك يا عم أحمد ممكن أعملك من الفجر بليلة وقراقيش ورز باللبن كل يوم إيه رأيك؟ يجيبها ببشاشة:ياريتياست ليلى وإيديعلى إيديكواللي تأمريبيه أنا راضي. يمازحها قائلا: بس خليبالك العالم دبيحبوا الحلو حلو زيادة"توصل ليلى الولدين إلى مدرستها وتعود للبيت مسرعة،

وقد قررت أن تعد حسابًا منفصلًا لمشتريات مشروعها الناشئ.تمضيساعاتوهيتحاول تدبيرالقليل من مدخولها.

يقترب منها الجد متسائلًاعما يشغلها، تشاركه آمالها، تثير الحماسة فينفسه. ينكفئ الجد على أوراقه لساعات يدبر ويرتب وينفث أحزانه بين الأوراق، وتبدأ ليلى يومًا جديدًا من حياتها تستيقظ فجرًا لتعد حلوى وطعامًا لعمال المصانع بأجر خفيض، ولكنها تشعر ويومًا بعد يوم أنها تجد ذاتًا جديدةً، ويتسع صدرها لمزيد من

الهواء وقد ارتسمت على وجهها بعض من ملامح محمد زوجها بنظراته الدافئة العطوف التى تحتضن أناسًا بالكاد تعرفهم، لكنها تجد فى دفئهم بعضًا مما فقدت.

obeikandl.com

النافذة

تمتد يد محمد لمقبض النافذة يفتحها ويطالع الطريق والقطار يمضي في طريقه مسرعًا. تبدو الحقول أكثر اخضرارًا واتساعًا من بعيد وأعمدة الكهرباء تتقارب حتتكاد تلتصق. علىجنبات الطريق يقف المارة بانتظار مرور القطار ليعبروا للضفة الأخرى تبدو أجسادهم ككتلة واحدة. يجلس محمد ساندًا رأسه إلىالخلف متنسمًا هواء الطريق مغمضًا؛ عينيه يتذكر لقاءهالأخير بأبيه. كان لقاءً جافًا مقتضبًا اقتصر على طلبه لمساعدة مالية منه وتلقيه رفضًا مغلفًا بالدعاء بأن يوسعها عليهرب العالمين من حيث لا يدري. في سنواته الأخيرة تثاقل عن زيارة بيته القديم حيث يسكن أباه مع زوجته الأخيرة وأبناؤه منها حتى لم يعد يتذكر سببًا لبعده عنهم، اليوم وفقط تذكر، أصابه الغثيان بأعتاب البيت .. حين دخل البيت القديم وتصادمت الروائح بأنفه بين رائحة يألفها تبدو كطهى أمه و .. ربما خزانتها وفرشاة شعرها ...وبين رائحة كتلك

obeikandl.com

الرخيصةفي الأسواق فجة هي رائحة بين روائح الزهر المخلوطة وزيوت الشعر. وتجول بعينيه بين الكنبة المنجدة أسفل النافذة بالصالة حيث كان مجلس أمه وطاولة الطعام، حيث كان يجلس بعد وفاتها ليدرس وأحيانًا ليبدو كأنما يدرس، لكنه يضع وجهه بين دفتي كتابه ويُسقط بعض العبرات الساخنة وهو يشاهد بخلف رأسه صخب إخوته من أبيه وهم يتجولون في البيت بحرية وهو جالسٌ أسيرٌ بمقعده لا يملك من حياتهم غير مساحتهتلك....انتبه محمد على صوت غلق النافذة بعنف فنظر بتجهم لليد الناعمة التي اقتربت بعصبية من وجهه ورفع عينيهإلى وجهها.

فاعتذرت بابتسامة وجلست ولا تزال يدها بحرف النافذة. هناء بتوتر تزيح حقيبتها خلف المقعد وترتمي بجسدها النحيل فوق المقعد، يتأملها محمد فتشيح بوجهها عنه وتلتفت للنافذة. تبكي فيقترب منها مادًا لها منديله تلتقطه بيدها اليمني وبيدها الأخرىأوراق بملف ممزق الأطراف متعرق ومتسخ ببصمات الأصابع. تقبض يدها على الملف وتنظر إلى أحرف اسمها وقد محيت من فوق خانة الاسم ولم يتبقَ منها سوىأحرف متناثرة كأملها في الحصول على وظيفة بالمدينة. هناء الابنة الكبرىلأسرة

مكونة من ستة أبناء بمراحل التعليم. يعمل الأب كنادل براتب زهيد نصفه لا يكاد يكفيهم طعامًا ...ترتسم ملامح الحزن على وجهها وهي تفكر كيف ستخبر أمها أنها لم تحصل على الوظيفة ولم تستطع أن تجد عملًا يكفيهم الحاجة. يتهادي القطار قرب المحطة. يقف محمد مسرعًا ينظر باتجاهالباب وظهره للنافذة ويده لازالت ممسكة بحرفها الخشبي يلتقط حقيبته ويتحرك....تترك أصابعه أثرًا دافئًا فوق الخشب..تتلمسه هناء وتلاحق محمد بعينيها وهو يغادر.

تعود بعينيها للطريق يتدافع الركاب ويتلاصقون قبل أن يتحرك القطار ويغلق بابه....ثم تعود بعينيها للجالس محل محمد... يبدو عليه الثراء، خمسيني بدين... نظيف إلى الحد الذي جعلها تتعجب من التصاقه بالجالس جواره؛ عامل البناء المغبر بالأسمنت،المتثائب منشغل بهاتفه إلى الحد الذي سمح لجاره المتثائبأن يريح رأسه إلى كتفه .. متعالٍإلى الحد الذي جعله يمدد رجليه غير عابئ بوجودها...مستندةإلى محل أصابع محمد بقوة فتحت النافذة وجلست بعصبية تنتظر اعتراضه، لكنه لم ينتبه ...استيقظ المتثائب حين سقط رأسهفانتبه إلى الجالس بجواره وقد تأفف منه واعتدل ونظر للطريق من النافذة متسائلًا عن المحطة القادمة، ثم

صمت وأخرج من جيبه ورقة تأملها برفق وفتحها ليعيد قراءتها:

"أخي العزيز أحمد نتمنأن تكونبخير يا بشمهندسونتمننشوفك أبوك وأمك بخيرلا ينقصنا إلا رؤياك سلامنا الحار لك .... " تنهد أحمد وترك وجهه للطريق عبر النافذة الوحيدة....بصق في الأرض تحت حذاء البناء الضخم ونظر للباب واستدار واقفًا...أسرعت كوثر بالجلوس تتحسس بطنها المنتفخ بطفلها الرابع لاهثة متعرقة نظرإليها الخمسيني وترك لها محله بجوار النافذة ....

ربتت فوق بطنها بحنان وأسندت بطنها براحتيها وتنهدت ....

تفحصت هناء بجسدها الممشوق اليافع وعيونها البراقة وقياسها الصغير، ونظرت إلى ملابسها التي تبدو كخيمة نفختها الريح وقدمها المنتفخ كخف الجمل، وتأملت وجهها بزجاج النافذة وقد فقد ملامح الأنوثة إلا من بعض أحمر شفاه وضعته على عجل قبل الخروج من البيت وكحل "بسواد قاع الحلل" كما يحلو لها أن تصفه حين تشكو أيامها، أصبح بكاؤها سهلًا منذ اقترب موعد ولادتها ..

منهكة أراحت رأسها إلى حرف النافذة وداعب الهواء جفونها وسال بعض الكحل مع حبات العرق فناولتها هناء منديلها مبتسمة وهي تنظر لبطنها المستدير ثم تنظر بحسرة لبطنها الخاوي ....تدعوها للجلوس محلها باتجاه الهواء، ثم تترك مقعدها وتتجه للباب... الخمسيني يلاحقها بعينيه وما إن يراها تقف حتى يستند إلى النافذة ويقف ويلحق بها قبل أن تغادر القطار...

تُفاجأ كوثر بحقيبة هناء أسفل المقعد فتنادي عليها من النافذة وتخرجها إليها، تمد هناء يدها وتلتقط الحقيبة وتمسك بيد كوثر بحنان وترفع صوتها: ربنا يقومك بالسلامة يا خالتو، يذهب الهواء ببعض صوتها...تبتسم كوثر وتنظر فوق رصيف المحطة، وتلتقي عيناها بعيني طفل يبيع المناديل ينظر إليها عبر النافذة راجيًا إياها أن تشتري منه ولو ببعض نقود تكفي إفطاره، تمد كوثر يدها بالنقود سريعًا عبر النافذة قبل أن يغادر القطار المحطة ....تنادي بائع التسالي فلا يسمعها ....تنادي ...ترتج النافذة بصدى صوتها ولا يسمعها البائع فتصمت .... وتعيد رأسها لمحله وتدور به ذات الأسئلة....إزاي تدبر مصاريف الولادة؟؟ وحسين هيعملإيه مع

الولاد؟ وأمي مين هياخد باله منها وأنا بولد؟ ولو مت هيعملوإيه من بعدي كلهم ؟؟

تتنهد وتترك الحذاء يسقط من قدميها المنتفختين لتريحهما ...يخلو القطار مع اقترابه من نهاية الخطإلا من بعض الركاب ...تنتبه كوثر لصافرات القطار المتتالية تستند بكفيها على النافذة لتقف ....تنظر للمحطة والركاب يتراصون بانتظار توقف القطار، ترجوها من النافذة سيدة مسنة أن تأخذ حقيبتها لتحجز لها بها مقعدًا تلتقط كوثر الحقيبة وتضعها على المقعد.

في نهاية اليوم يصعد عم حسين عامل النظافة في القطار وبيده قطعته المتسخة المبللة فيمسح بها زجاج النافذة مستندًا إلىإطارها الخشبي. ينكسر لوحٌ من الإطار.يعيد عم حسين تثبيته، ثم لا يلبث أن يلفظه الإطار كلما أعاد تثبيته مرات ومرات... يسقط أرضًا فيلقي به عم حسين خارج النافذة.

بين القدر والخنوع

كان لأحد المزارعين في قرية مساحة من الخضرة يزرعها هو ويعتني بها نهارًا ويقوم عليها حارسًا ليؤمنها ليلًا. يقتات منها ويرعى فيها ماشيته التي تعينه علىأعباء العملوأمِن المزارع إلي أرضه يكد عليها ليطعم أولاده،ويطعم الماشية من محصوله من البصل والبرسيم وبعض الخضرة. ولم يخطُ المزارع يوما لحدود أرضه وما جرؤعلى ذلك، فهو إن ترك زرعه أكلته الماشية وإن ترك الماشية أكلتها الذئاب. ويومًا حين مر على حارس القرية ليشتري منه محصوله أو يقايضه بما يكفيه من بضع بيضات أو بضعةأرغفة خبز أو حينًا بعض الدواء سمع أنين الجار المريض يتوسل للحارس أن يزيده بضعة أرغفة خبز وبعض دواء مقابل ما اعتاد أن يتركه للحارس من ألبان ماشيته.

لكن الحارس بكى وقص قصته للمريض أنه لا يملك البيض ولا

يملك أن يهب منه أحدًاإلا ما يأتيه به سائقوا عربات نقل الخضار بين القرى، ورغم تمنيه ترك عمله إلا أن سائقيالعربات يرفضون أن تقله إحدىعرباتهم من القرية من دون موافقة حارسي القرى المجاورة ...

مقابل بضع أرغفة أو بضع بيضات أو بعض دواء يتمنى لو يستطيع توفيرها،

وحينهاقرر أن يتخفى ليلًا ويخرج من حدود قريته ليرىما وراءها ..

وظل من بعد غروب الشمس يتسلل بخطوات ملؤها الخوف إلىأن وصل إلى حدود أرضه وتخطاها .... وهاله ما رأى....فعند حدود القرية وجد مساحات من الأراضي مترامية الأطراف جدباء محاطة بالأسلاك الشائكة تحرسها الكلاب،ووجد نفسه محاصرًا في قريته لا يستطيع منها فكاكًا، فالأسلاك والكلاب لم تعد تميز حدود قريته من أرضها تعبث وتعدو وتعوي جائعة. وزال كل خوف في قلبه ومكث هو والكلاب يترقبون عربة من عربات الخضار التي تصل إلىأقرب قرية مأهولة تزرع البصل والبرسيم لتقايضه ببضع بيضات أو بضعة أرغفة أو بعض الدواء.

رجع الصدى

كائنٌ بأحشائي يتحرك، يركل، يرفس،يخاطبني بصوت أسمعه وبلغة تفاهمنا عليها على مر السنين يومئ ويغضب ويفكر، لكنه لا ينام...أرقد بغرفتي محمومًا يرقد إلى جواري هو وأوراقي ودفاتري المؤرخة، أسجل فيها مذكراتي التي لا أظن أن أحدًا سيهتم بقراءتها، خمسة دفاتر رتبت لكل عقد دفتر بلون مختلف وكلما هممت بالكتابة امتدت يدي خلسة إلى دفتر العقد الأخير،فأجدني أكرر الأسطر السابقة وأعيد قص بطولاتي في الصحافة ومقالاتي المثيرة للجدل... ونجاحاتي وسفراتي ثم أتوقف عند كلمة أكررها أو يكررها كائني كان أبي رحمه الله يعيدها كل صباح على مسامعي "لا عفو عن مصمم على خطئه" وهكذا نشأت في أحضانه أُجله وأراقب رعايته لأسرته ويشاطرني كائني انبهاري به.

ألصقت بجداريصورة قديمة له وهومستندإلى كتفي ورغم اعتراض زوجتيانتقلت معي إلى غرفتي بمنزلنا الجديد، كلما نظرت إليه يخيل

إليّ أني مُراقب وألمس وضع أصابعه علي كتفي لأتأكد من خلوها إلا من حرارة الحمى،سأُعنون دفترالعقد الثالث بعنوان براق "زوجة حنون وأبناء صالحون" عنوانٌ اخترته رغم أنفكائني.....زوجتينظمت كل تفاصيلي قبلأن تغادرني؛ الملابس والدواء وكتبي وأرقام الهواتف وجواربي، صور أبنائي بكل ركن وصورها بجانب أبنائي، لم أكن بينهمكنت دائمًا من يلتقط الصور، صور زواجنا أبدو فيها كأبي وتبدو هي كهشتارإلهة العشق والجمالغمرتني بحبها، حاصرتني، لم تترك فراغًا إلا وشغلته أو شغلتني عنه وأتقنت احتواء كائني وأسره بعيدًا عني ..وأحبها بدوره وأحب اقتراني بها، فتيًا لم يقاوم شغفه بها وكانت بارعة في كل شيء. إذا حدثته لم تشر إليه وإذا غضبت تركته حتى تهدأ وكنت في عقدي العشرين ولم أفطن إلى النساء بعد فولهت بها وكنا نتواعد بحديقة المشفى؛ كانت طبيبتي التي تعالجني من مرض جلدي مزمن بيدي ولم تكن تأبه أن تصيبها عدوى، ندس أيدينا سويًا في التراب الحار كجزء من العلاج حتينتهي بنا الحال إلما تريد وتقرر هي و ....لم يطل بي الحال إلا وتزوجنا...سأكتب في الفقرة الأولى ... في منزلنا لزوجتي بكل ركن من ذكرياتنا أثر حتى

وعاء التراب العلاجي احتفظت به في ركنٍ قصي. وكتبها وهديتي الأولى لها راقصة الباليهحبيسة الصندوق الموسيقي .... نجلس بالشرفة سويًا لنستمع إليها ونراقبها تدور حول محورها لمرات نحاول حصرها فيتغير العدد في كل مرة .... عصافيرها التي انتقلت معنا لشرفتنا....أتأملها وهي تعتني بكل شيءبكل تفاصيل حياتي والعصفورين،هي في عقدها التالي لزواجنا ولم تفقد من جمالها شيئا،أراقبها وهي تقفز كعصفور بين المرضى في مشفاها.

وتلتفت للساعة ولي حتى يأتي موعدنا لنذهب إلى حديقتنا وبين أيدينا وعاءالتراب الساخن .....يقطع صوت الهاتف صمت الليل يرن مرات ولا أجيب يبدو كرقم زوجتي من منزلنا القديم؛ انتقلت بالأولاد كي لاتصيبهم عدوىالحُمَّى...أُكمل بدفترعقدي الثالث أكتب ...وعلى حين غفلة منا فُك أسر كائني بعيون زميلتي في العمل سمر. التراب الساخن وراقصة الباليةوعصفوري الشرفة كلها كانت موضع سخريته ....عيون زميلتي الآسرة تدفعني لساعات من الجلوس معها بحديقة الجريدة،أدس يدي بيدها وتحكي لي خبايا مديرها وخبايا علاقاته....زوجتي منشغلة بالأولاد مما يتيح لي ساعات دون مراقبة، أقضيها مع سمر،وأحبها كائني بجنون فهي

لعوب حنون. هكذا سأكتب عنها بدفتري الثالث الذي اخترت له اللون الأحمر.....زوجتي احمرت وجنتاها واستشاطت غضبًا حين علمت بأمر سمر، لكنها لم تبكِ واكتفت بالصمت في الشرفة لساعات...خرجت بعدها تحملعصفوريها إلىالمشفى لعلاجهما من فقد ريشهما الذي أكاد أُقسم أني رأيته قبل أن تدخل الشرفة يتطاير وتجمعه في وعائي العلاجي... تعيد تنسيق الشرفة وترتيب الكراسي لتجلسني بين يديها لساعات تذكرني بأيام حديقتنا. ويصم كائني أذني ويلح لتذكيري بموعد سمر.أنظر للطريق كطفل يريد العدو إلى رفاقهوتغيب الشمس ويتضاءل أملي في انتظار سمر لي،شمس يوم العيد كانت دائمًا حارقة. أذكر عيدي الأخير مع أبي كنت علىأعتاب عقدي الثاني وامتدت يدي إلى جلبابه آخذًا بعض النقود فلطم أمي ....

ونسيت أمر الصفعة والعيد وأنا ألتقي رفقتي بين الطرقات لنوزع الطعام بين أهل الحي الفقراء.

وتعفرت قدمي وتناوب رفقتي الضحك وهم يسخرون من حرصي ألا أفقد نظافة ثوبي....بصمت أُزيح التراب عن ثوبي وعن وجه أبي وهو يرقد مستسلمًا رقدته الأخيرة ويذكرني كائني بلطمة

العيد، فأدس يده في التراب وتعلق يدي بيده للحظات يحتضنها بين أصابعه قبل أن أُفلتها وأنطلق إلىأمي. لسنوات ظلت تجلس في مجلسه لتعيد كلماته على مسامعي حتى حفظتها وكأنني يرددها كصدى لصوتها ..وصوتها يخفُت عامًا بعد عام حتى تركتني ولحقت به وصمت الصدى. واسترحت من استرجاعها كلمات أبي ودموعها التي لم تجف منذ رحل عنها. وتركت طرقات مدينتى الضيقة إلى رحابة مدينة زوجتي حيث الجامعة والحب ...تزداد الحمى وأتعرق وأنا بفراشي..... أشعر بخدر ساقي اليمني، أتامل دفاتري الملونة ثانية وأزيح دفتري الرابع لا أذكر عنه شيئًا وليس لديّ ما أخطه فيه وكأنني يصارع ليسترده ليملي عليَّ ما عشناه سويًا في سنواتنا في البلاد الباردة ولا أكادأذكره ...

ويكتب أسماء لا أذكرها ...ومغامراته وتجاربه هو....لا أذكر سوى اسم ابنتي ندا أهذي به ...وأذكر أيضًا كيف شفيت يدي حتىأنني لا أذكر متى ؟ .... لكنها شفيت حين أصابتني الحمى عندما سقطت في ماء النهر البارد كنت أسبح عاريًا بعد أن دفعتني رغبتي في إثبات أني مازلت شابًا إلى مجاراة رفيقة السكن غربية الملامح ساخنة اليد ...وجلست بجواري تطببني أسبوعًا وهي

تظن أنني سأموت لضعف بنيتي وما إن تعافيت حتى تركتني ورحلت ...وعدت إلى دياري وكلما نظرت إلى صورتي في المرآة رأيت كائني الوسيم المتأنق الذي لم يكن يحتمل غبار الطريق بأثوابه أراه فتيًا مزهوًا فأتصاغر إلى جواره..وأتركه هو والمرآة ...بالأمس أصرت زوجتي على فحصي بالمشفي واطمأنت لعلاجي المنتظم ...لازالت ترهق الهاتف بإلحاحها المعتاد ...آلو.. نعم ...أنا بخير...أخذتْ الدوا وهنام حاضر ... فين ندا؟ ...سلام...ندا أصغر أبنائي وآخر حصوني كما أسميها. بعينيها مرآتي أُمشط شعري وأعتدل في هندامي ثم ننطلق إلى مدرستها،أتركها بين رفيقاتها وأراقبها وهي تضحك وتختلس النظر إليّ وأنا أبتعد ..اقترب الصبح وأنا على حالي بين أوراقي ودفاتري غير أني أشعر بتحسن وزال الخدر في ساقي ..يرن الهاتف ثانية وبإلحاح..نعم ..ندا...صحيتي.. أنا بخير..ماتخافيش..هعيش..هاجي أخدك بس بكره لما أصحى.سلام..أبتسم وأُمسك بدفتري الخامس لا تزال صفحاته بيضاء.

رحم الظلام

يأتي يوم الجمعة من كل أسبوع ومنذ أن كنت في العاشرة صاخبًا بأعماله الروتينية، أستيقظ لإفطار الجمعة الباكر على صوت أبي مهللًا ومحذرًابأن الوقت أزف... تغضب أحلامي وتتشبث بأحداقي ثم لا ألبث أن أنفضها وأنتزع نفسي من فراشها خوفًا من غضب أبي الذي علت نبرات صوته حتى سمعها أبطال أحلامي.فى بيتنا يصمت الجميع حول المائدة. نتبادل النظرات بين الفينة والأخرى تنظر إليّ أمي بإشفاق أود لو أحادثها طويلًا، لكننا لانجد مانتحادث عنه فنكتفيبالنظرات الحانية من طرفها والابتسام أحيانًا من طرفي، ليإخوة أشاكسهم على المائدة وكلما داعبهم أبيبنظراته ازدادت مشاكستي ونظراتي الماكرة لإيهامهم بأنني وأبيلنا

obeikandl.com

من الشئون مالا نفصح عنها لهم. ألتهم فطورًا دسمًايزيدني تثاقلًا ونعاسًا، ثم أنطلق وأبيإلى الطريق ليذهب هو إلى الحلاق وأذهب أنا إلى السوق على وعد منيبأن ألتقيه عند المسجد لصلاة الجمعة إلى جواره،أمر فطريقيبأصدقائأواعدهم بنظرات خفية خوفًا من أبي.عند مفترق الطرق يتركني أبيولازالت أثر يده بكتفي. تمنيت لو أطال أمد بقائهاأبيرجل حازم قليلُ الكلام يعمل فيأحد المكاتب الحكومية حتى منتصف النهار، ثم يعود ليجلس طويلًا بين جرائده وبعض ملفاته التي يأتيبها معه إلى المنزل ليدققها. عندما يأتيالمساء يخالطنا ويداعبنا بكلماته القليلة ثم يذهب لفراشه ليستعد ليوم عمله القادم.

يذهب هوإلى حلاقه. وأكمل طريقي وحيدًا لقضاء احتياجات الأسرة.تداعب أنفي روائح البنّ المطحون مختلطة بالبهار ثم أصوات الباعة تنادي خضارها وما بين يديها من أسباب العيش

... في السوق أستيقظ يقظتي الثانية من نعاس ليلتي؛ يعدو الجميع ويتحركون بعشوائية منظمة فيكل اتجاه نتدافع ونتلاطم ثم لانلبث أن نعود لمساراتنا.أترك جسد يسير مع حركات البشر المتناغمة فيدفعون ببإلى مقصدي"المودموزيل" محل الخواجة القديم لرتق وترقيع السجاد وقطع الملابس القيمة. تركه صاحبه الخواجة منذ أكثر من عشرين عامًا ولا يزال يحمل اسمه افتخارًا وتمييزًا له عما حوله من ورش كانت تعمل يدويًا بلا ماكينة. أما الخواجة فكان أول من أدخل الصنعة كما يطلق عليها زبائنه وقد كان يعرفهم بأسمائهم، وصبيته ورثوا محله من دون أوراق ولا عقود فحياتهم تمضيكما تركهم وبنفس الماكينة وبذات مواضع الكراسي التيبجلس عليها الزبائن، فعم أحمد وإخوته يفخرون بأنهم أول من رتق فيمصر القديمة وتعلم صنعة الخواجة وحبه وشغفه بالقطع النادرة المخاطة أطرافها بعناية.

وكنت أستمع بشغف إليهم يجلسون فى أماكنهم يتكلمون عن مهنتهم وكيف يفضلونها عن مهن أخرى، وكيف أن جواهر الناس تعرف من إتقانهم لعملهم ثم إننى بالفعل أتأمل معجزاتهمفإحياء مظهر القطع التى بين أيديهم وأطالع وجوههم كيف تبدو بعد إنهائهم لكل ممزق وبالٍ أحيانًا. عم أحمد رجل فى عقده الخامس رث الثياب قميصه فقد لونه الأصلى بين ثنياتهحكايا كل من يأتىإليه وهموم وضحكات. يحفظ أطراف بنطاله داخل جواربه حفاظًا عليها من التعلق بالمسامير البارزة من طاولته،والتى قد تعلق بها أثناء حركته،منتفض الشعر الذي غلب بياضه على فراغات بدت فىرأسه ما بين خصلات شعره، كبير الأنف والشفاه بشكل ملحوظ لكنه غير منفر، بسمته تسبق تحيته للقادم إليه. يبدو وكأنه لايغادر مقعده، يجلس بين خيوطهوأصباغهوأصماغهفى كوته المظلمة بين الماكينة والجدار الخلفى للكوة وقد توحدت رائحته

برائحة الكوة وكومات الخيوط الملونة إلى جواره تفوح منها روائح الصباغ والتعرق وقد عتقت حتى تعودتها أنفه.

يضع أمامه على طاولته الخشبية ذات الأرجل الثلاث والتي تستند على الماكينة بدلًا من قائمها الرابع المتكسر. يضع عليه الكرتونية الصغيرة وقد رص فيها من المسامير الصغيرة كل نوع على حده ومن الدهانات كل لون على حده وبالكاد ترى أنامله التى انتفخت وتكلس جلدها من كثرة العمل وقد تصبغت بالدهانات.

يتأمل الرائى أظفاره الشاحبة في الظلام ينعكس عليها الضوء الخافت فتدهشك براعتها وهي تتحرك بقطعتك من بين يديه إلى الماكينة إلى إزالة آثار العمل والخيوط الزائدة. ثم يسلمها لك وقد تعلقت عيناه بها وارتسمت على وجهه ملامح الرضا وحين تضع نقودك فى يده بالكاد ينظر ماذا فى يده ثم يلثمها ويدسها فى درج الطاولة.

يكتسي الرجل الظلمة التى عندما تألفها العين ترى ما لا يمكن رؤيته فى ضوء النهار الساطع. تلك الكوة المظلمة التى يخرجون منها ويدخلون هى لهم كبئر يوسف أو حوت يونس؛ رحم يولدون منه كل يوم يبعث فيهم روح الحياة.

obeikandl.com

فاطمة

جلست وصديقتي فاطمة نتجاذب أطراف الحديث نتهامس تارة وينفلت الإيقاع منا تارة؛ فيرتفع الصوت وتختنق النبرات ثم لانلبثأن نتعاتب ونتلاقونتضاحك حين تلتقي أعيننا وأطراف أصابعنا الباردة .... فاطمة ...صديقة الصبا هادئة الملامح ناعمة الخصال. كل صباح أعدو إليها أبثُها همومي، نرشف قهوتنا ببطء معتاد ثم تقدم لي حلواها مع شاي تعده لي بنكهة لا أعرف ما هي ولم أسعَ لسؤالها؛ فمذاقه بين يديها وهي تقشر لي فاكهة الصباح ولسنوات مضت هو ما يدفع بي إلى آتون الحياة غير عابئة بما يصيبني منها ....هي تعرف متى تُصمِتني ومتي تبثُني الأمل..أكملتْ هي عقدها يوم ميلادي، لكنها تسابق الحكمة ذاتها..أدخل إلىعالمها وفي جعبتي هموم الصباح وأجلس بين يديها بجوار نافذتها الشرقية حيث تربالشمس وتسمح لها بالمكوث فوق أرجلها وبين يديها. لا تتململ ولا تحرك ساكنًا....وإن زاد لهيبها عاتبت الشمس بحنانها

obeikandl.com

المعتاد ... همها في الحياة سعادتي ..أن تسمع شكواي وتبتسم لي ثم تسمعني أغنياتنا التي طالما علا صوتنا بها وحين تلتقي بصمات صوتينا تخبرني أن كل شيءسيكون بخير..

ذات صباح تمردتُ علىموعدنا، ورفضت الذهاب إليها فقد مللت حاجتي إليها ومللت نكهة الشاي لديها. وكنت والوقت يمضي بطيئًا أتمزق من فرط ألمها لغيابي، لكنني لم أتراجع وتركتها تبكي فقدي وحين انكسرت أشعة الشمس في كبد السماء وأيقنت أنها نامت تلصصت عليها من خلف نافذتنا المعهودة فإذا بها تشكوني للشمس وقت رحيلها والشمس تعدها أنني سأعود وأشعتها تضيء المرآة أمام فاطمة. كانت كالبدر في المرآة ...

خجلت من فعلتي واقتربت منها حسبت أنني لن آتيك سألتها.. أجابتني كلا ولكن آلمني أنك تتحاورين وتفكرين دوني ... تعاتبنا وقصت لي من حكاياها التي تنسجها ارتجالًا وهي تعبث بشعري وألقيت برأسي فوق حجرها طوال الليل وأنا أتحسس موضع أشعة الشمس كيف لا زال دافئًا. واقترب الصبح وكانت تواجه المرآة فنظرت في المرآة فرأيت صورتي جالسةأرقب شروق الشمس.....

الخبز

وقف حامد في دوره عند نهاية الصف في الطابورالواقف أمام الفرن وتأفف وهو يهمس لنفسه "ساعة من الانتظار كل صباح لشراء بضعة أرغفة؟الطابور بطيء.... ورائحة الخبز المنتفخ تثير شهية الواقفين وتزيد من تشبثهم بالدور والتصاقهم بالواقف أمامهم ليتحرك إلىالأمام ...."يجب على الحكومة أن تستورد أضعاف الكميات من القمح" يهمس للواقف بجواره فينظر إليه بلا رد. يجد حامد نفسه منشغلًا يعد الناس في

الطابور....واحد....اثنان.....عشرون ....وأنا الواحد والعشرون والعمال عرقى من حرارة الفرن متوقفون عن العمل للراحة

....يقطع حامد الوقت في ملاحقة الواقفين بعينيه من أول الصف إلىآخره ذهابًا وإيابًا ...بعد قليل سيتناقص العدد. هو الآن ثماني نساء واثنا عشر رجلًا ... المرأة رقم عشرة تبدو في عجلة من أمرها،تتحرك حول مكانها بعصبية تركت أصابعها تعبث بحقيبتها

فتزيد من توتر الواقف خلفها،ليته كان وراءها لما شعر بالوقت ولما أرهقه الانتظار ...الرجل خلفها يبدو منهمكًا في قراءة الجريدة ..متأففًا من كثرة حركتها وسؤالها المتكرر عن الساعة ...الواقف أمام الصف رقم واحد عيناه معلقتان بالخبز الخارج من الفرن للتو تتصاعدمنه الأبخرة تلفحأنفه ووجهه ملوحًا بنقوده، وبصبر نافد يدفع الملتصق به من خلفه.. ويلتقط أرغفته ويخرج بها من الطابور ولا تزالعيناه معلقتين بالخبز في يده ..

يمضي الوقت ويغمض حامد عينيه متذكرًا أباه وكيف أمضى حياته بين طابوره هذا أمام الفرن وطابور الجمعية وطابور صرف المعاشات ....ابتسامة أبيه في أيامه الأخيرة من أمام طابور حجز أراضٍ صحراوية بأسعار مخفضة له ولأخيه تخنق العبرات في حلقه وتدفع به إلى التمايل يمينًا ويسارًا خارج الطابور ....

يلتفت حامد للطابور فيُفاجَأ بأن المرأة أصبحت أمامه تمامًا..... كيف يحدث هذا؟؟!!حاول حامد الاقتراب منها ولو قليلًا ...تختلط رائحة عطرها برائحة الخبز ....متأملًا حذاءها وقد مسح بعناية وملابسها المتناسقة الألوان وقد منحتها المرأة بريقًا بجاذبيتها رغم بهت ألوانها ...زينتها بسيطة، لكنها تنم عن ذوق

راق..عصبيتها تخلق حولها مجالًا يجذب الأنظار وينفر الكلمات ...الآن تتشاجر مع صاحب الفرن بصوت رخيم..وكلمات نابية.... يرد عليها العمال مدافعين عن صاحب الفرن ..الطابور يقف بلا حراك بعيون نصف مغمضة تنتقل بين المرأة والعمال .....يخرج حامد من الطابور تغلي الدماء في عروقه يختطف بضعة أرغفة من أمام الرجل ويضعها بين يدي المرأة دافعًا إياها خارج الصف لتذهب مسرعة...ويقف هو أمام العمال مواجهًا كلمات السباب واللوم. عيناه معلقتان بالرجل خلفه لازال يقرأ الجريدة وينتظر دوره ...

obeikandl.com

الوحش

تمتد خيوط الشمس ذهبية عبر نافذة المستشفي المغلقة وتستقر أشعتها بحنان علي وجه زينب الشاحب ...ترقد في فراشها بلا حراك، أضناها الوهن وأرهقها دفع مولودها لساعات ... الأطباء زمرة يتجولون بالرواق ... الممرضات يتهامسن بالقرب منها، طفلها راقد مستقر إلى جوارها ينتظر ..ينتصف النهار وزينب لا تفيق.. . تهذي بكلمات غير مفهومة ... تبكي ثم تعاود النوم ... الممرضات يأتينها بالسوائل يبللن شفاهها وشفاه وليدها ... يتبادلن نظرات الأسى ثم يتركنها ويذهبن لعملهن.حل موعد الزيارة .... تضج المستشفي بالمهنئين. في الأسِرة المجاورة ترقد الضحكات، تتسرب إليها روائح الحلوى والورود مختلطة بالفرح وكلمات التهاني.يضيق

سُباتها بضحكات أب يزهو بصوته، مؤذنًا لوليده بأُذنه اليمنى.

منتشيًا بصراخ الوليد يدفع بقطعه نقدية إلى الممرضات المحيطات بزوجته، كفراشات يعدن لها وسط غمزاتهن وضحكاتهن ترتيب الفراش تمضي ساعات الزيارة بطيئة وجسد زينب يأبى أن يفيق، تطفو روحها فوق جسدها الممدد بلا حراك تتأمله ... تنظر إليه بإشفاق، الوجه شاحب والجسد مرتمي فوق الفراش، النبض باهت كنبض وليدها بالكاد يصمد، يداها مكبلتان بطرف الغطاء، تتحرر روحها، تطوف كزفير زهر حول الفراش.

يثير أهل الجوار فضول الروح الخفيفة الشفيفة، الجسد ساكن أنفاسه باهتة والروح تتجول هائمة بين الأسِرة تندس بينهم وتضحك معهم... تقترب من فراش المرأة المجاور الصاخب بالفرح، ترتمي الروح فوق الأم المتدللة، تتلقي التهاني والقبلات معها، ترفع الأم صغيرها بحنان إلى صدرها.

obeikandl.com

يبدو حليبها ببياض وجه زينب، يؤلمها صدرها فتتراجع لطرف الفراش، الوليد بصدر أمه يسكن قابضًا بكفه الصغير على أصبعها.

ترى زينب بوجه الأم الراضي أمها الجميلة بمنديلها الأبيض، وثوبها الريفي الدافئ. تبدو سمرتها الناعمة كما هي حين رأتها آخر مرة. كانت ذاهبة ككل صباح بين رفيقاتها للمدرسة، عادت زينب بموعد الغذاء لتجد النسوة المتشحات بالسواد يرقدن بمدخل الدار يهذين بكلمات ...تتقلب زينب وتئن، يؤرقها صوت الممرضات بجوار فراشها يتهامسن، ينظرن للطفل الساكن بإشفاق يبللن شفاهه بقطرات الحليب، يعدن الغطاء فوقه.

تتسلل هائمة حول الصغير تتحسس الغطاء وتتحسس وليدها،تتحسس يديه وأرجله المشوهة ورأسه المنبعج، تعيد الغطاء ....يمضي الليل وجسد زينب يهذي بالحمى والممرضات

حولها ببياضهن...مع نسمات الصباح الأولى يأتيها زوارها ... تشعر زينب بوخزات بذراعها، بطنها يتمزق، تتلوى بالفراش، تأبي الروح أن تعود حيث يسكن الألم، الزوار يتهامسون بكلمات كتلك الكلمات التي تعرفها ...يبكي الصغير الراقد إلى جوارها مغطى الوجه واليدين، تحمله إحدى النسوة المتشحات بالسواد وتُحكم حوله الغطاء فيزداد بكاؤه .....في اللحظة نفسها تستفيق زينب تفتح عينيها تنتفض منتصبة تحمل وليدها، تفك وثاقه وتقذفه إلى صدرها ....يتفجر ينبوع حليبها بين شفتيه...تنطلق أولى دمعات الأمومة حارة من عينيها، تاركة الغطاء للزوار، تقبل زينب صغيرها وتؤذن له بأذنه اليمنى..

obeikandl.com

الصندوق الأسود

تجلس مُنَبجوار النافذة .. بأناملها الصغيرة تعبث بأطراف الستائر، تتشابك أظافرها وخيوط الستائر...تلتفت للطريق تتسمع ألحانه ...مُوزِع الغاز لا يتوقف عن قرع العبوات ينادي الجارات. ودجاجات الفرارجي بالرصيف المقابل لاتهدأ صياحًا وبائع الخبز يشاركهن ذات الإيقاع...

أصوات السيارات تشير إلى ساعة الظهيرة...صوت مؤذن الجامع بالجوار يشير لاقتراب موعد عودة فتيات الحيّ من المدرسة، الزجاج دافئ ....تلفح بشرتها أشعة شمس الشتاء...مقبض النافذة بارد ...قطتها تموء، تريد الخروج من الغرفة، تترك مُنفراشها ممسكة بصندوقها الموسيقيّ المغلق تدير مفتاحه برفق، تضعه فوق

obeikandl.com

أذنها وككل صباح تدندن لحنه، تبتهج ويدها بداخله وتتذكر طفولتها؛ كان للصندوق غطاء مجوف يُرفع فيتكشف عن عمق يغطي مكان درج خفي. كانت أمها تحفظ فيه حُليها حين كان لها حُلي ... حين افتقدت مُنالصندوق في مكانه بجوار الفراش فلم تجده، حزنت لفراقه واضطرت أن تعين نفسها علىتذكر لحنها الأثير وتدندن به وحدها أيامًا ... أمها حملته كما قالت لإصلاحه، حين عاد وتفقدته لم تجد عليه أثر يد...وتلقته حينها بفرح غامر، وكانت شديدة الشوق لأن تمسه وتمسح بيدها الصغيرة خشبه الأملس وتضع يدها داخل الدرج أسفل الغطاء وربما قربته من أنفها تشتمه ... غير أن الدرج الخفي قد فرغ ....

فحفظت فيه زر قميص لأبيها كانت تخفيه بين طيات وسادتها ....وكان أول الأمر بعيد المنال فقد وضعته أمها فوق الدولاب في زاوية بعيدة، فلما أتمن يحمل الدولاب وباقي الأثاث خارج الغرفة

سقط الصندوق، ووضع في مكان بزاوية الغرفة محملًا حيث طالته يد منى...

مصاحبة نغماته تغني كل صباح حتى تتململ قطتها ...فراؤها الناعم الوثير تغمسه بظاهر كف منى مداعبة لها تتطاير شعيراتها فتلتصق بوجه منى، تزيحها بغضب عن أنفها ..تقف بالنافذة متنسمة روائح الطريق ..المخبوزات الطازجة ...بُنّ المقهى ودخان الشيشة ...عوادم السيارات.. يناديها عم محمد بائع غزل البنات بلحنه المميز بزمارته....ترسل له السبَت الخوص المعلق بطرف الحبل المتدلي من النافذة وبه النقود ...يعيده إليها وبه أكياس منتفخة بالحلوى الملونة كقطن نافش تغمس بها أصابعها المبللة بلعابها وتلعق الأكياس ...تكورها مستمتعة بأزيزها ...تلوح بالأكياس الفارغة لعم محمد فيرد لها التحية بنغمته المعتادة ....

القطة تخدش قدميها ..تصيح مني ممسكة بالسبت تدفع القطة داخله وترسلها إلى الطريق، لا تخاف عليها فهي تعلم كيف تعود بعد أن تأتي أم مني من عملها وتفتح لها الباب من الخارج..

تنتظر منبصبر بالنافذة حتى تسمع ضحك الفتيات ... يقترين ... ينظرن إليها ...يناديها...تسرع بالعودة خطوات للوراء...ممسكة بالستارة الشفيفة تكادتسقط...يسقط الصندوق من يدها ...يصمت اللحن وتصمت منى ..ترتمي أرضًا تلملم قطعةبعد أخرى ..تتمتم بأسى...الزر فقد .. الفتيات سريعًا يذهبن عن أسفل النافذة تدخل منى متحسسة الأرض بأطراف أصابع قدمها... مادةً يدها أمامها تتلمس طريقها نحو الباب خشية السقوط..

وسام

لم تتكبدا عناء تجهيز حقائب ولوازم للسفر، فقط توجهتا إلى المطار تنوءان بما تحملانه من ذكريات؛ مرض عائل الأسرةالصغيرة وصراعه بين المشافى لسنوات وآلامه الأخيرة وصراخه المتصل الذيلايفارق صداه أذنى ريم.

تبدو الطائرة صغيرة وتضيق شيئًا فشيئًا حتى تكاد تطبق على ريم ووالدتها وحدهما دونما صراخ، تنظر ريم إلى أمها تبدو عليها علامات الإجهاد والأرق لاعجب فهما لم تناما منذ يومين.

الأم امرأة راقية الملامح فى عقدها الخامس نحيلة، عيناها ترقب الجميع بريبة. لم تهتم ريم بسؤالها عن وجهة الطائرة ولم تحاول إثناءها عن عزمها الرحيل رغم ما يعتصرها من خوف من المستقبل وملاحقة من الماضي الذي بالكاد يتوارى ألمه نهارًا ليعود ليلًا مؤرقًا أحلامها وكيف لها أن تسألها ونظرات العتاب واللوم أبدًا تلاحقها ومنذ صغرها وبلا كلمات لتخترق نفس ريم وتجردها من رغبتها حتى في الاختيار.

كان والدًا حنونًا وعطوفًا عيناه تحرسانها ليلًا ونهارًا وأينما ذهبتلاعجب فقد كانت كضوء النهار؛أينما حلت تزهر ما حولها وفي غرفتها يتسامران كل ليلة ويرتب لها أوراقها بعناية ويتفقد ما بليمن ثيابها ليسارع بشراء الجديد منهاقبل أن تطلب منه. وحينما تنسى رينباتاتها تجده صباحًا قد ترك لها ورقة صغيرة فوق النبتة "أرجوك لا تنسينيمرة أخرى". فى عيدها الثانيعشر أهداها مهرة صغيرة أسماها وسام وأتى بها إلى حديقة ريم لتراها تكبر أمام عينيها وترتبط بها يوما بعد يوم. وحين مرضت أرسلها للعلاج فالخارج وأرسل معها مرافقًا من ضباط الصف الأول ممن يعملون تحت إمرته لطمأنةريم يوميًا بمكالمات تفصيليةعن حال مهرتها.

ولم تفلح مساعى الأطباء وماتت وسام وبكتها ريم وهي تواريها الثرى. نظر إليها والدها مواسيًا، كانت كلماته قصيرة ومقتضبة: "فى هذه الحياة نأتي بأشياء لتسعدنا ولا يجب أن نسمح لها أن تنمو بداخلنا لتصبح أقوى منا حتى إذافقدناها تحولت إلى سبب لتعاستنا، نحن من أتينا بها ونستطيع أن نذهب ذكراها متى شئنا.. ومرت سنوات صباها كعقد انفرط وقد وجدت في حنان أباها عوضًا عن علاقتها الباهتة بأمها التيكانت تصفها لصديقاتها

بالضيفة التيطال مكثها بمنزلنا وكانت صديقاتها يحسدنها على أبيها الذي لايغمض له جفن حتى يطمئن أن ربيبته لا

ينقصها من يومها شيء،ولا ينغص عليها في ليلها آخر.

ويوم اشتبكت في عامها الجامعي الأول مع إحدى الفتيات اللاتى يدعين الوطنية وهاجمت الفتاة أباها وأكد الحاضرون تصديقهم لادعاءاتها. لم توفر ريم دفاعًا إلا وقد ساقته لتثبت صدقها ويقينها بأن أباها الذي تعرفه جيدًا راعيًا لها مخلصًا لرؤسائه وفيًا لوطنه لا يمكن أن يكون ذلك الذي يقصُّون نوادر تجاوزاته السياسية والمالية ويتجاوزونها وكأنما هي بمكان آخر.

يومها عادت ريم إلى منزلها باكية وقد سبقها رجل حراستها إلى مكتب أبيها مقدمًا له تقريره اليومى كعادته. وما هىإلا دقائق مضت قبل أن تجد أباها الذي تعرفه جيدًا أمامها بنظراته الثابتة الثاقبة يسألها "هل نتعشى الليلة سويًا" وتعودت ريم تجاهل نظرات من حولها وتجاوز الجميع وحتى تلك الفتاة لم تعد تراها ولم تحاول أن تسأل مرة أخرى عن دوافع هؤلاء فلا مبرر لأن يعلم أحد منهم من تحب أو كيف تعبر لمن تحب عن تصديقها لحبه لها. واكتفت بلقاء بعض الصديقات المقربات من الأسرة بين الحين

والآخر من اللاتى يهتمن بشئونهن فقط كما نصحتها أمها في حوار نادر بينهما .. " لاتحاولى خلط الزيت بالماء فلكلٍعالمه"،ومضت أعوامها الجامعية متعثرة، ولم تكن تتوقف عند عزوف أمها عن صحبتهم، وحتى حين كانت تلمح بعض الكدمات فى وجه الأم أو تضطر لاصطحابها للمشفى لتجبير كسور فيذراعها لم تكن تجبر نفسها على النظر فيعينيها مباشرة أو لوم أبيها وكانت فى خاطرها تردد "هيتدفعه لهذا هيبغرابة أطوارها تؤثر الوحدة على صحبتنا وتسيءإليهبرفضها لوجوده بيننا" كيف لم تستخدم قواها الناعمة لتستقطب قلب أبيهاويرضي تلك المرأة التي طالمابدت وحيدة بينهما. واكتفت ريم بمرسمها في الحديقة تمضي ساعات نهارها وربما تبيت فيه هربًا إلى عالم ورقيارتضته مأوى وملاذًا.

ويومًا اضطرت لمواجهته حين عادت للمنزل فوجدته ثائرًا يصيح ويزأر. ودخلت على أمها فإذا بها ترتمي أرضًا وقد تهاوت مقاومتها ولا تقوى على النهوض للفراش وأتت لها بماصة لتتمكن من ارتشاف بعض الماء فإذا به يتسرب من بين شفتيها. فزعت ريم هرعت لوالدها معاتبة فإذا به يخرج من بين أصابعه مفتاحًا لسيارتها الجديدة.

يومها أدركت لِمَلَمْ تبكِ مهرتها وسام وآثرت ابتلاع غصة لاتزال بحلقها مرارتها. لم لاتستطيع التنفس إلى جواره نفسًا تملأ به صدرها ثم تزفره هانئة.

ربما إن أفصحت لفظها وأوقف حبه لها ...قررت أن تصيح فرحًا ونشوة بالسيارة الجديدة التيترمقها بالباب مع الخدم بدهشة وأسرعتوانطلقت على غير هدى حتى منتصف ليلتها.

ونجحت مساعيوالدها بعد أعوام من الإخلاص الدؤوب لرؤسائه في الحصول على المنصب الدولى. وسافرت الأسرة إلى دولة باردة، كل ما فيها نظيف ومرتب حتى البشر يسيرون فى الشوارع بنمط متكرر. وسرعان ما أحبت ريم حياتها الجديدة وتزوجت من زميل لها بالعمل ....ولم تدم زيجتها منه سوى قرابة العام وسارعت بالتخلص منه قبل أن يدرك أسباب كراهيتها ونفورها منه. ولم يعاتبها والدها ولم يتوقف كثيرًا عند رفضها لمحاولاته للصلح بينهما.

وإذا بتسارع الأحداث ينحى بحياتها منحى آخر، ويتهاوى عالمها الورقيبمرض والدها. ولسنوات ينعينفسه إليها، لكنها لم تدرك ما عليها مواجهته. وجدت نفسها وأمها وقد سقط عنهما جدار الحماية

الزجاجي،ولم تتمكن من الصمود دونه ومغالبة رغبة أمها في الرحيل،وحين حطت الطائرة في مطار القاهرة تنهدت الأم تنهيدة الراحة واستسلمت لغفوة قصيرة أيقظتها منها ريم بعد دقائق، وخرجتا من المطار وحيدتين لا تحملان إلا الريبة والتوجس بمن حولهما ولا ينتظرهما إلا مجهول تأملان فيه خيرًا.

"كل شيءيبدو مترباً وقديمًا وباليًا "علقت ريم وهيتفرك يديها محاولة إزالة ما علق بها من أتربة حتى الطريق ....

يبدوأثريًا يثير في نفسها ذكريات كانت قد أسقطتها من ذاكرتها حتى ظنت أنها يومًا لم تعشها ومن بين شجيرات يعلوها الإهمال بدا بيتها صامدًا راصدًا لقدومها ودخولها.

أيامها الأولى مضت ثقيلة حزينة؛ لا أحد يلقى لهما بالًا وكأنهما أشباح عادت لتقطن منزلًا هرب منه ساكنوه"فين كشك الحراسة؟" تساءلت ريم.

نظرت إليها الأم "عايزين نعيش ياريم،ياريت يكون لينا مكان بين الناس" سبر أغوار المستقبل تلك كانت مهمة الأيام القادمة،أما ريم فأعادت فتح مرسمها فى الحديقة. بدا كما تركته إلا من بعض

غبار طاله بعد سنوات من الإهمال، ورغم تشككها في قدرتها على ضم الفرشاة بين أصابعها ثانية ... استعانت بأبناء بواب الجراج المقابل لإعادة مرسمها للحياة،وإصلاحه مقابل التقاطها لبعض الصور لهم، وإهدائهم بعض صور مهرتها وسام التيكانت تحفظها طوال الوقت بمكتب أبيها وتحت ناظريه....

obeikandl.com

ولدي

لحظة ميلاد طفلها الأول، كم تمنت ليلى أن يتوقف الزمن عندها حين تختلط نشوة الألم بلذة الاقتراب من الموت، لفظته دافئًا من أحشائها وإذا به يرتعد ويصرخ خوفًا من عالم بارد لايعرف منه إلا دفء نبضات بطنها المرتعش ألمًا، البارد بعرق جهد دفعه، لساعات مدت إليه يدها وهي بالكاد تراه، مسحت لسانه بأناملها وبكت حين أدركت أن لأناملها ذاك الأثر فشيء ما. وبجهد بالغ ألقمته رضعته الأولى وياله من كائن علم بفطرته أن حياته ترتبط بذاك النبض فتشبث بفكيه وبكامل قوته بحقه فى الحياة.

يعدو محمد بين أقرانه في الصف الأول وعيناه معلقتان بأمه المنتظرة بلهفة خلف باب المدرسة الحديدي،يسقط أرضًا وسرعان ما يقف باكيًا ويمسح وجهه بيديه المغبرتين ويتلفت حوله هل توقف اللعب، وحين يدرك ألا أحدًا يهتم به يكمل عدوه خلف الكرة ...لا يكاد يمر يوم من سنوات صباه ومراهقتهإلا

ويتشاجران حول كل شيء وأي شيءثم لا يلبث أن يأتيإليها مساءًباكيًا ومعتذرًا. ويوم أحب فتاته الأولى أعلمها بنظراته الحائرة فما كان منها إلا أن احتضنت فيه كل أحلام صباها واكتفت به ... والليلة يزف وليدها الصغير لعروسه، تمتمت وهيتعيد زينتها مرات ومرات،ربما لم أكن مرحبة بها أخاف أن يلحظ وليديفى عيني رفضها. تحبه ولكن ليس كحبيله كان وليديرتميبين أحضاني.... كلما مر به عابر من ضيقوالآن هو لها .... ما عاد يذكرنيهي جميلة تسلب لبه، كنت جميلة ولكنيلم أحظ بمثل وليديليدلل جماليمثلها. أنا وفراشي والوسادة بيننا علاقة تجمعنا ومنذ الطفولة حتى أنني أحتفظ في ثنايا ذاكرتي بمنحنيات وسادتيومواضع هبوط فراشي، أعدو إليكَفراشيكلما ضاقت بى دروبي، وكلما انفرجت قد كنت دومًا موضع مسراتي وأحزاني،كم بثثتُكِ وسادتي زفراتُ أرقٍ وأنفاسُ مرضٍ وضحكاتُ ظفر، وكم تشاطرنا أحلامًامتكسرةً فرعيتها وضمدتها وحفظتِها وأخرى مؤرِقةٍ أقضْت مضجعي وتلبستنى فأسرتِها، أشفق عليك وسادتي كيف اهترأتِ وتمزقت أركانك وتبعثرت أحلاميفى ثناياكِ،فلتصمدى ولتقبلي بى قدرًا، فأنا ماكنت لأدعك ترحلين ..والليلة ذهب محمد بعروسه وترك

البيت خاويًا، تجلس ليلى بطرف فراشه وقد عتمت الغرفة وظلال بالباب تبث الخوف بقلبها، ينفتح الباب بعد لحظات محدثًا بصوتِ صريرهِ شقًا في جدارِ صمتٍ أعلنته ليلى برحيل محمد. ويدخل محمود الزوج الذي طالما وعبثًا حاول إصلاح صرير الباب ولم يفلح ....في الصباح جلسا للفطور سويًا بلا كلمات.

أنهياه على عجل ولم يتبوَقف كوب عصيره غير رشفتين ... بتأنٍ يرفع محمود الكوب ويطالعه ..في قاع الكوب ترسبت وتركزت كل الأحلام.....

obeikandl.com

الألوان

حين اصطدمت راحة كفه بوجنتيها للمرة الأولى دارت بها الدنيا ولم تجد لنفسها مأوى ومرتمى سوى بين أحضانه، بكيا معًا واعتذرلها، وعدته ألا تدفع به إلى تكرار ما حدث وتناسيا الذكرى غير أنها حفظت ملامح غضبه كوشم فيقلبها ترمقه من بعيد كلما تحادثا لتتثبت أنه على وعده ألا يؤذيها، ترمقه فينومه بعضًا من عضلات وجهه تلك متى اختلجت تعرفها تعيدها لذاك اليوم تلمست بطنها الصغير وربتت عليه وعدته أن تحميه.

تلملم منيملابسها بتباطؤ قطعة بعد قطعة بعد أن فرشتها أرضًا لساعات تقلب بينها أى قطعة تصلح لأن ترتديها بعد أن تغير

obeikandl.com

قياسها وتبدلت ملامح جسدها،زفاف إحدى نسيباتها الليلة، تستسلم أخيرًا لقطعة وحيدة متبقية حريرية الملمس سوداء تبرز لون بشرتها الأبيض وتخفي الكثير من علامات الحمل فى جسدها المنتفخ، ترتديها وتخرج لتعرض نفسها على أحمد زوجها المنتظر بالردهة لساعات ما إن يراها حتى يقطب جبينه وبلا كلمات يتجه إلى الغرفة جاذبًا إياها من ذراعها ويختار من بين القطع الملقاة أرضًا قطعة أخرى زاهية اللون ويلبسها أياها مسرعًا، و كطفل صغير حائر تستسلم لانفعاله وتترك ذراعها معلقة بذراعه وتمضي برفقته.

تراقبه من بعيد أثناء الحفل يبدو هادئ الملامح ينتقي كلماته بعناية، يداه رقيقتان يشير بهما إلى محدثه دائمًا في حركة تبدو متناغمة مع إيقاع حديثه المنمق، محاطًابعيون الكثيرات يتناسى وجودها بين الحفل مما يتيح لها فرصة مناسبة للتنفس ملء رئتيها، وأخيرًا تقرر أن عليها الذهاب إلى الحمام، تجلس لساعة تنظر

لوجهها فيالمرآة ثم تخرج إلى السيارة دون الالتفات للخلف.

وتترك كلمات كتبتها بقلم الكحل الأسود على ظهر دعوة الزفاف البيضاء فوق مقود السيارة"افترقنا .. وكلما سأتذكر أخطاءك ...وكلما سأفتقدتك.. سأرسم نقطة سوداء على حائط غرفتي تذكيرًا لها بلحظات ضعفي..وحين أستيقظ يومًا وأنا لا أذكر لون غرفتي....حين يخالط السواد كل ألوان أحلاميوحين يحار قوس قزح في سماء غرفتيحين لا يجد ألوانًا ليرقع بها جداريوسط كل هذا السواد سأجد أنا كل الألوان التيأريد ....."

obeikandl.com

الكاميرا عيوني

تعدو عبير على غير هدى محتضنة حقيبتها ودفاترها الملونة. بين يديها كاميرا أبيها وقد أطلقت لها العنان لتلتقط لاهثة كل ما يتحرك وما هو ساكن حولها.لاتحتاج لأن ترشدها فقد دربتها عيون محمد المهدى لسنوات حتى يظن الرائيأن روحه قد تلبستها.

محمد المهديمصور بجريدة محلية لم يقرب من الثلاثين عامًا.لايعرف لنفسه بيتًا سوى الجريدة ولا عملًاسوى التقاط الصور وإيقاف الزمن فمكادراته الصغيرة، كان بسيط الحال لم يطمح لأكثر مما وهبته الحياة. ماتت زوجته منذ عشر سنوات تاركة له ابنته الوحيدة عبير، لم يتوقف للرثاء لحاله فالرثاء للذات رفاهية لا يقدر عليها فقد وجد نفسه يحيا بأنفاس عبير ويرى العالم بعينيها

"انظري دائمًا في عيون الناس قبل أن تلتقطيلهم صورًا فيهذه اللحظات تلتقطين شيئًا من روحهم تلقمه الكاميرا من عينيك"

كان هذا درسه الأول حفظته فيذاكرتها بنبراته ونغمات صوته

وإشارات يديه وتعابير وجهه وهو يخرج تلك الكلمات من بين شفتيه "الناس يا عبير هم أهم موضوع للقطتك ممكن المكان يكون جميل بس لو فيه إنسان هو اللي بيخطف موضوع الصورة "

عبيركانت سببًافى تخطيه أحزانه ومداواة جروحه مرات ومرات ... من أجلها يستيقظ كل صباح ويعد فطورهما ويضع ملابسها فيالمغسلة. يغسل لها وجهها الصغير ويلبسها ملابسها الملونة لينطلقا كل صباح هو إلى عمله وهي إلى مدرستها. كانت المعلمات يعرفنها جيدًا وتوقفن عن محاولة إلزامها بالزيالمدرسى. كانت طفلة جميلة ونابهة محبة للحياة كيف يجبرنها على ارتداء لون واحد كل يوم وهي من تغير ألوان طبشورات المعلمات كل يوم.

بعد وفاة أمها حملت ملابسها وأعادت ترتيبها في دولاب أبيها.اقتحمت عليه غرفته حاملة ملابسها متسائلة هل لديك مكان لي ؟

تاركًا لها إعادة ترتيب دولابها وحياتها وهي بنت عشر سنين تبسم لها واكتفى بدرج صغير من الدولاب. كل أشيائه يسعها درج واحد يحويبعض العملات القديمة وبعض مفاتيح أدراج متعلقاته بالجريدة والكثير من صور شبابه مع أصدقائه في الجيش

وصورًا له فوق دبابات العدو وميدالية ذهبية فيعلبتها الحمراء يغلفها بعناية بقماش من علم مصر قد اقتطعها يوم العبور وكانت قسمته بين أصدقاء الجبهة. صورهم تبدو قديمة، لكنه لايدع الأتربة تفسدها بعضهم لازال على قيد الحياة ويلتقيه.

كانا يستيقظان يوم العطلة باكرًا؛ موعدهما الأسبوعيلقراءة الجرائد حتى ينتهيا من مخزونهما فوق المائدة. وحتى قبل أن تتعلم القراءة كان يقرأ لها بصوته الرخيم وأحرفه التيترسم لها صورًا للكلمات فتخرج من بين شفاهه مثقلة بهموم وآمال وطنه. تعَوَّد أن يبدأ بالأعمدة السياسية أولًا، ويختار الأسطر بعناية وينظر لها بين جملة وأخرى ليؤكد لنفسه أنه لم يفقدها. ويتضاحكان حين تحاول تكرار بعض كلماته وتتبعثر الأحرف بين شفتيها، ثم يتنقلان بين بعض الأدبيات والأشعار وأخيرًاصفحة الوفيات. وكم كانت تكره هذه الجولة الأخيرة فيمازحها بأنه يبحث عن صورته ثم ودائمًا ما يغلق الصحيفة بتساؤله لماذا لا يهتم أهل المتوفَّى بانتقاء صورة جميلة لتكون نعيًا ووداعًا لذويهم.

مرت سنوات صباها بين جولاتها في الأحياء الشعبية والمدن والقاهرة القديمة والآثار الإسلامية والقبطية، حتى أنها كانت

تذهب معه إلى الأضرحة والموالدالتيكان قد أعد بها جدولًا سنويًّالايتعارض مع جولاته الأسبوعية، وكانت كلما التقطت صورة نظر إليها مندهشًا ومحفزًا: "كيف تفعلين ذلك؟ أنت تبدأين من حيث انتهيت" حين فقدت عبير والدها وانتقلت للعيش مع عمتها تعرفت وللمرة الأولى في حياتها على معنى الخجل من اليتم والوحدة ...

عمة عجوز تكاد لاتنفق من يومها قليلًا أوكثيرًا إلا وذكرته لكل مار وعابر منًاأوزهوًاأوتحصيلًا مقدمًا لهامش ربح تتشكك فيه،كانت امرأة وحيدة هجرها أبناؤهاإلى بلاد باردة صُبِغوا من برودتها فما عادوا يتفقدون تلك العجوز الأم. وإن كانت لم تألُ جهدًا فيأن تنعتهم بأبشع الألقاب؛ فقد تسولتهم سنين طوال ولم تجد منهم ما يلجم لسانها عنهم .. وكان محمد المهديبرعاها ويحفظ لها تعهدها برعايته فيصباه رغم تبدل طبعها على مر السنين.كان دائم الحفاظ على ودها وتعريفها بابنته وكأنما كان يستشرف من المستقبل ما لو علمه علم اليقين لتبدلت أحواله معها.

جُن خلقها بعد أن أدركت أن عبير أصبحت ربيبتها وستشاركها منزلها الفاخر فالحيالراقي. منزل مترهل من أثر الزمن، مظلم

الأركان، طعامه فيه شحم ربة البيت التي لا توقد في منزلها نارًا إلا لزائرعيد، ولا يخلو موضع قدم في مطبخها من علب أو صفائح حفظتها فارغة علها تستفيد منها يوما فيشيء‌ما.

قابعة مقتنيات العمة في أركان المنزل كشهود عيان تخبرها بما يجري فيغيابها. كيف يمكن للأثاث في كل بيت أن يحكي سر أصحابه. منزل خلا من أيصور على حوائطه الرثة التي باتت بين الأصفر والأبيض المشوب بحمرة الخجل من الزوار. حفظت لنفسها فيكل غرفة كرسيًا وثيرًا غاصت قاعدته وتفتقت كسوته باقية كشواهد على سوء معاملة ربته. وقعت هي فريسة وصيدًا للعجوز تنفث فيها غضبها .....

تتعمد إيقاظها ليلًا لتبحث عن دوائها التائه بين مئات الأدوية المخزنة فيكل أركان المنزل وفيالصباح تشكوها للجيران أن أيفتاة تلك ابتليت بها تتذمر من تمريض عجوز ....أعوام من الصمت مرت ..واليوم قَدِم بصخبٍ لم يعتده المنزل ....تختلط الأصوات فيه والروائح ... تنير عبير الأضواء وتمرر فناجين القهوة للزوار وترسم دمعة...ترتمي في كرسي العمة الوثير ترتق كسوته... وتعدو في الرواق تلملم أكوام الدواء ..وفي صمت تلتقط للحوائط والأثاث

صورًا جديدة وتزيح الغبار عن النوافذ.. تربت على الكرسي الوثير وتَعِدُ الحائط بلونٍ جديد.

obeikandl.com

الشيخ

يجلس أحمد أمام قهوة الحارة المواجهة لمنزل الشيخ علي،تتعالى أصوات مجاوريه يتنادون فيما بينهم ويتبادلون الضحكات والنكات فيما يجلس هو صامتًا عيناه بباب منزل الشيخ علىّ معلقتان بجداره الذي كتب عليه حجٌ مبرورٌ بدهان أبيض، وطبعت بالدماء عليه أكف صغيرة وكبيرة وزين بأعلام خضراء ترهل خيطها حتى تكاد تلامس رؤوس المارة.

ينادى صبي القهوة ويطلب الشايللمرة الرابعة، يعاجله الصبي بالكوب وينظر إليه مطمئنًا: " قلقان ليه ؟قلتلكهييجي،اصبر ساعة" يصمت أحمد وينظر لقدميه وقد أتعبها السير وطول الطريق من قريته إلى حيث يجلس، فقد ترك بالقرية بيتًا طينيًا به امرأتان كلتاهما عاجز..بين أمه التى بترت إحدى ساقيها بعد حادث صدم جرار لها وبين أخت أقعدتها قلة الحيلة وضيق ذات اليد إلى جوار الأم لتخدمها وتعينها. الأب لا يكاد أحمد يذكره فهو

الأخير بين إخوته الخمسةوقد رحل الأب عنهم منذ سنوات عمره الأولى،والإخوة الواحد تلو الآخر سلكوا مسلك الأب وهم بين مُعيل كاره وبين هارب من التجنيد وبين راغب فيحياة بلا أعباء. وجد أحمد وهو فيالعاشرة من عمره نفسه عائلًايعمل في الأراضي المجاورة، يتنقل بينها وحسب المواسم ضمن قطيع من الصبية تحت إمرة من لقبه الصبية بالعم ... ولسنوات عشق أحمد ابنة الرجل مُصدقًافيلقب العم حتى افتضح أمره بين الصبية ....

وطرد من بينهم فلحق بأحد أبناء عمومته للعمل في مصنع للرخام في القاهرةبيومية ضئيلة بالكاد تكفيه طعامًا ومبيتًا بغرفة مشتركة بين عشرة أقران قبلوه بينهم بتذلل حين ألفوه في المصنع بينهم ليل نهار لا يكاد يتكلم إلا بعيون ملؤها الجوع والتعب.

وتوطدت علاقته بأقرانه في المصنع حتى علم بنشاطاتهم الليلية في سرقة وبيع قطع غيار السيارات وانضم إليهم سريعًا، وتحاذق حتى لقب بينهم بالبطل، وذاع صيته لعنفه وشراسته فيعلاقاته الليلية حتى تعجب أقرانه كيف بات بينهم شهورًا ولم يروا منه ذلك الجانب الحذق، وركنوا إليه وتركوا له بيع وتصريف ما يتحصلون عليه من قطع ... ولسنوات وهو في سجنه، ظل أحمد يبكيحظه

العاثر، ويفكر فى أيامه الأولى بعد أن يخرج وكيف سيقضيها، وقد عقد العزم ألا يعود لأقرانه وأرسل في طلب أمه وأخته مرات ولم يفلح مرساله فيإصلاح ما أفسده ... حين جلس على ذات الكرسي في القهوة للمرة الأولى أشار عليه الصبى أن يذهب إلى الشيخ علىّ وهو رجل ثلاثينيقعيد "بركة الحارة" كما يسمونه بالحي،بيده مفاتيح كثير من الأعمال والأرزاق، متزوج من وداد امرأة أربعينية جميلة تزوجت الشيخ خوفًا من طمع من حولها،ودرءً الأقاويل أهل الحيّعنها، وخوضهم فيسيرتها منذ أن مات زوجها وترك لها دكانًا للخردوات تمضي فيه أغلب وقتها ثم تتركه ليلًا ليغلقه أحد أعوان الشيخ،وتمضيإلى الشيخ ترعاه لقاء ما جاد به عليها من حماية وظل بين الناس والجيرة.

تردد أحمد على بيت الشيخ كثيرًا في الآونة الأخيرة غير أن الشيخ رفض تزكيته لدى أحد معارفه وحين بكى أحمد بين يديه تائبًا، رق الشيخ لحاله وقربَه منه كأحد أعوانه، يسحب له كرسيه المتحرك ويوصله للمسجد ولزياراته النهارية لتجار الحيّلجمع بعض المدخول الذي لم يرَ فيه أحمد إلا إتاوة يرتضيها التجار فيما بينهم، وتكاد عينه تجحظ وهو يراقب أموالًا تذهب وتجيءوليس له منها

إلا النظر. وقاده النظر إلى امرأة الشيخ وهو يغلق لها الدكان. جلسا بالدكان لساعات يتسامران بين وعد باللقاء ووعد بالخلاص.

انتبه أحمد على صوت صبي القهوة ينبهه إلى أن الشيخ أتى ودخل بيته. طرق أحمد الباب طرقته المعتادة لوداد لتعلم من هو وحين دخل استلم صدر الشيخ بطعنة سريعة. تعلق الشيخ بلحية أحمد وجذبها محاولًا الخلاص من سكينه فعاجله أحمد بضربة ثانية أنهت ما بدأ وتهاوى الشيخ على الأرض. ووداد تكتم أنفاسها خوفًا وقد أعدت حقيبتها بجوار الباب. نظر إليها أحمد وأشار لها برأسه كى تخرج سريعًا بحقيبتها وخرج خلفها من المنزل حليقًا خائفًا يترقب.

obeikandl.com

الباب

صباح كل يوم أسأل نفسي كيف ستكون روائح يومي... بين محمصة البن ومخبز الحي أمر مرورًا متلكئًا أُعبئ أنفى وأمضيإلى عملى بجوار قهوة على طريق سريع، تختلط علىّ الروائح فيه بين عوادم السيارات وعرق الباعة وأصوات نَردِهم وضحكاتهم والنرجيلة المتدلية بإهمال بين أصابع كل منهم وبخور عطار الحيّ يدور بينهم. وفي الظهيرة أغمس وجهي في حقيبتي أحمل فيها صورك أمي تفوح منها روائح طعامك وملمس أصابعك لا يزال على رأسي،ثم أُنهى عملي في المساء وأمر ببابك أنت أشتمُ ريحك بالباب قبل أن ألقاك أشتمُك فتمحى من ذاكرتى كل الروائح قبلك...وأنا ببابك أنتظر أن تفتحي لي. أتذكر كلماتك قبل سفرك تعاهدني على الوفاء وتعدني بحياة أنت فيها.ثم تركت بين يدي سنوات عجاف من التمني تنتظر ببابك أن ينفتح أو يُنار ما وراءه... يوم ركبت البحر قلت لي إنك مسافر صوب الشمس

والبحر أمين عليك كعيون أمك استودَعتك محمد موسى.

وقلت إن البحر تملح بدموع من سبقني إليه واكتفى .. وأنا ببابك أشم ريح البحر وأسمع هديرهوطيوره وأكاد أتلمس مِلحه في فمي، ذاك الباب الذي حفظتُ تجاعيده وثقوبه وحفظ بصمات أصابعيوقد بثثتُها كل أحلامي. يبدو ليأنه يزداد ضآلة،ويضيق ما بين دفتيه فيكل مرة آتيإليه، فيصدره شِقٍ كأنه الجرح وريحه عتقت بعرق ساكنيه وزفراتهم وأنفاس من ينتظرون أن ينفتح لهم رغم طول طرقهم. زجاج شباكه الصغير لطخ بغبار أيدي الطارقين فلا يكاد يرى منه من بالداخل غير ظلال وخيالات حبسها الأمل بأعتاب ذاك الباب. حين يمل بابك طرقي سأنصرف عنك وأمضي في طريقي. واليوم تغير علىّ ريح الباب فما أنا بطارق وسأنتظر ربما أنت نائم وربما إن خرجت تجدني بالباب أنتظر فتزداد فرحًا، ويزداد طرق قلبي بين ضلوعي وأنا أسمع أصواتًا؛ بالداخل ربما زوار مهنئون وتسمرت بالباب فرحًا وارتعشت يداي وتعرقت وتشبثتُ بالمقبض الحديديالبارد وانفتح الباب وخرج من بالداخل وأُغلق الباب من دوني..

أمي

أنظر إليك جالسة بين أكوابك العشرين وموقدك وعُدتك وعُلب الشاى والسكر وأصوات العمال تطالبك بسرعة تلبية مبتغاهاحينًا برقة الطلب وحينًا بخلاف ذلك. وقد افترشت الأرض وحولك صناديقك الكرتونية ترصين فيها مخزونك ورأسمالك من شاى وأكواب وبضع بيضات مسلوقات ورخيص أنواع البسكويت المغلف. يشاغبك رجال الصحة والتموين تارة وتلملمين عتادك وتغيرين موقعك تارة، تتثاقلين صباحًا قبل انطلاقك لعملك ثم تنسحبين قبل يقظتنا، وقد تركت لنا جنيهاتك العشر للإفطار ككل صباح. آتيإليك يا أمى قبل ذهابي لجامعتيأراقبك من بعيد كيف أصبحتِ رجلًا بين الرجال كيف اصطبغ وجهكِ بلون الشاي الذي تصنعين ويداك كيف تلونت شاحبة بلون الماء،منذ متى توقفتِ عن النظر لوجهك في المرآة. ماعدت تأبهين بمنديل رأسك الذي تغبَر بألوان الطريق وأنفاس البشر.

توقفتُ عن النظر إلى عينيك منذ أخلفتُ وعديلك ألا أعمل مساءً،وأن أجتهد في جامعتي وأحقق حلمك فيأن أحمل شهادة تحميني من الزمن.

بالله عليك ألم تعلميأن ما تأتي إلينا به أكوابك العشرين لم يعد يكفي فطورًا؟ كيف لى أن أصارحك أنى ما عدت أرى فيحلمكِ حلمًالي؟ بالكاد أكفيك وإخوتى ذل السؤال. العلم ياأمى رفاهية ماعادت جنيهاتك العشر تكفلها تؤرقنى جلستك تلك. أراك تكتسبين جرأة المحارب وأنت تفاوضين الأمناء مرات وتستعطفينهم مرات ليتركوك ويرحلوا. كيف أقتحمُ رأسكِ الصلب وأنهي خلافنا؟ من منا يجب أن يتوقف عن العناد؟ أنا ياأمى ما عاد لي هدف من الجامعة. كم من المرات يجب أن أسمعكِ كلماتي،لم تظنيني أرسب؟

ما عاد في عقلي للعلم متسعٌ ربما يوم من الأيام قد آتيبعلم من الطريق أومنصاحبي في المقهى وإن أنت أصررت علىّ قد أرحل....

لاتلوميني مَلم أخبرك قبلًا أنيماعدت أذهب للجامعة، ولا تسألينى كيف أرسُب؟ أنت يا أمى سبب حيرتي وشقائي لو كنت تركتني

بلا علم ولا أمل وأجلستنيإلى جوارك من أول يوم جلستِ فيه إلى الرصيف وعلمتِنى كيف يغلي الماء وكيف أعدو حين يقتربُ الشرُ لكنتِ الآن فى بيتكِ تتعطرين وتحلمين ....وكنتُ أنا بين أصحابي لاأبكي أحلامكِ ولا أخجل.

هل تذكرين مُنى؟ أنا ماعدتُ أذكُرها، تزوجتْ وصار لها أولادٌوبيتٌ. ما كنتُ لأقدم لها في أفضل أحلامي إلا قلقًا وضيقًاباأعبائي،أذهبُ من بعيد وأرقُبها هى كمهدي بها مشرقة وباسمة ما كان بيننا إلا أماني ساعة عصْر وانفرطت.

أيغضبكِ دخاني ياأمى أنفثُ فيه أحزانياُخفيه عنك كيلا يؤلمني غضبكِ وتعصِر قلبي نظرة لوم بطرفِ عين شقيت علينامن زمنِ الصبا إلى الشيبِ بلا كلل.

أنت ياأمى كذاك السكرُ فى يدكِ تذوبين تحليةً لأيامنا ولا يبقى منكِ بعد الذوبان من أثرِ. ربِ أطل مُقامها بيننا فربما يأتينا غدٌ بأفضلَ مما فى أحلامنا لها ولكل من ذاب فينا بلا أجر.

كل هذا الملح

كانت تجلس أمامه على المقعد الصغير في الصالة ..افترسها بنظراته..تفحصهاجيدًا..رغم نظراته الحارقة إلا أنها لم تنظر إليه بل سمرت عينيها فوق الشاشة وشخوصها الحية...تغوص بمقعدها ...فوق الطاولة بجوارها صورأبنائها وبعض أوراقها وأقلامٌ ملونة ..تراصت أكواب الشاي عن يمينها في صينية وبقايا بعض البسكويت، وأسفل الطاولة بعض ملابس أبنائها وخيوطها الملونة وإبر الحياكة ...علا صوت الموسيقى فاهتزت قدمها تتمايل وتدندن بصوت خفيض مرددة مقطع أغنية أم كلثوم الأثيرة "بكرة تمناني أحاسبك أو ألومك أو أعاتبك ...ده أنا كفاية إني سبتك للزمن"

أمسك بالريموت وإبهامه تحول حائرًا بين المحطات حتى رفع صوت التليفزيون ليتابع نشرة الأخبار بوجوم. طقطق أصابعه

obeikandl.com

وأرسل رأسه للخلف مشيرًا إليها بأصابعه لتدفع إليه بوسادته الضخمة ليحشرها خلف ظهره..حملت بيديها الصينية وتحركت بخطوات ثابتة باتجاه المطبخ رغم تأرجح نظراته إليها .....وضعت الأكواب بالحوض، وفتحت الماء فوقها مدت يدها للماء تريد تحسس برودته ونظرت للأكواب ثم تركتها ولازالت تدندن ...

أغلقت الماء وتركت ما بالحوض من أطباق متراكمة واستدارت متناوله حبات من البطاطس وسكينًا لتقشيرها وإعدادها للعشاء لازال يجلس في مقعده يتحسس بطنه الخاوي ويمضغ لقيمات مملحة أعدتها في الصباح ....تركت البطاطس الساخنة في طبق العشاء فوق طاولة الطعام وبجوارها أكواب الشاي الساخنة وأطلقت نظرة مبتسمة باتجاهه في إشارة لانتهائها من مهمتها ...جلس إلى جوارها ممسكًا بالملح ساكبًا رشات متدافعة بشراها وهي تنظر إلى ذرات الملح المتناثرة حول طبق البطاطس تجمعها بأصابعها وترشف الشاي...

حتي انتهى ودفع بالطبق بعيدًا عنه ...تحركت لترفع صوت الموسيقى ..وفاجأته بنبرتها الحاسمة" أنا هتعلم الرقص من الأسبوع الجاي "ضحكت بارتياح وهي تنظر إليه بعدما ألقت بخبرها ...

نظر إليها وهو يدفع بالصينية من أمامه: " البطاطس كانت مالحة."

في الصباح التقت جاراتها في جلسة صباحية للقهوة والحلوى متضاحكة وبحماس قصت لهن ما كان من حوارها المسائي مع زوجها. صمتن وتبادلن النظرات وسكبن لها المزيد من الحلوى والقهوة ...

في المساء متحشرةبنطالها الجينز وبلوزتها القصيرة أخرجت القدم اليمني من باب غرفتها واستعدت للخروج للصالة وانزلقت اليسرى بسرعة خلفها.أدارت الموسيقوأخذت تتحرك حافية القدمين. داخَلَها شعور بأنها كائن آخر. برشاقة وبإيقاع منتظم ولأول مرة منذ زمن بعيد... كانت تتمايل كخيوطها الملونة ...نظراته تخترقها وهي تدور بالغرفة ..أنفاسها تتلاحق.. نبضها يتسارع. يجثم على زجاج النافذة ظل جسد لا انحناءات له..تضربالأرض بأقدامها ... الأرض تهتز ... الصدي يردد إيقاعًا منفصلًا .. الهواء يحيطها كموجات مد يدفعها .. ترتد إليها مثقلة ... تطيح بهدوء الجدران. ارتطمت عيناها بالظل الجاثم على صدر النافذة .. يد تلتحم بيد ورأس كبير كسنام فوق طود يتحرك متخبطًا "بصي

لنفسك في المراية ... بوزنك ده ارتاحى أحسن "كسهام اخترقتها أحرف كلماته لم تلتفت إليه ودارات دورة كاملة.. تشابكتأرجلها ...تعثرت بطرف سجادتها ...نصف ابتسامة من عينه كانت كفيلة بأن تسقطها وغادرهو مسرعًا.

obeikandl.com

ثورتنا

عبير تقف بين جموع المتظاهرين تحادثهم وتحكى بينهم بطولات حفرت بذاكرتها على مر السنين؛ حين كان أبوها يجلسها بين يديه لساعات يقص عليها قصص التاريخ ... الأب محمد عبد الكريم معلم اللغة العربية بالمدرسة الثانوية بأحد الأحياء المتوسطة. كان متوسط الحال إلا من دخل تُدره عليه قطعة أرض بقريته يؤمن له الحد الأدنى من الحياة الكريمة. عبير تعمل بالصحافة منذ أن أنهت دراستها الثانوية ولم تتزوج رغم ارتباطها بابن عمها أحمد ...

صديقتا طفولتها وصباها ريم وصفية كانتا دائمًا مادة للتصوير لها تتضاحكان وتتسامران وهما يشاهدان صورهما وينتقدان انشغال عبير عن مجالستهما وانهماكها فى تصوير ما حولها. ريم تعمل من الصباح الباكر حتى وقت العصر ولو وجدت سببًا لبقائها أكثر من ذلك خارج منزلها لبقيت. فقد تزوجت صغيرة السن وطلقها زوجها قبل عامها الأول لأنها لاتنجب... ولا تملأمهامن توبيخهاولِمَلا وهيتعيرهابخسارتها دورها فيالحياة فهي فيعامها

الثلاثين بلا زوج ولا طفل ...

كانت ترعى أبناء أخواتها، ثم مالبثت أن آثرت الانسحاب وكانت تتعجب لهم كيف لا يشعرون بما وهبهم اللهوما تتمناهمي.

صديقتها صفية من أصول ريفية. والداها أتيا ليقطنا المدينة هربًا من ضيق الحال فى قريتهمثم ما لبثوا أن وجدوا أن حالهم لم يتغير إلا بزيادة تغرب وافتراق عن الأهل والأرض، وكأن هذا الوعيأتى متأخرًا فتوطنوا المدينة رغم حنينهم لقريتهم.ومرضت صفية منذ طفولتها مما أسهم فيإثقال كاهل الأسرة بمزيد من الأعباء ونفقات العلاج مما كان دفع الأب أحيانًا للاستدانة من الأقارب مصرحًا بعدم قدرته على تحمل قدر صفية ومرضها.ولم تكن صفية تخرج من بيتها إلا بصحبة أحد ذويها ولا تذهب إلا للطبيب أو لزيارات عائلية.

حبيسة التقاليد والأعراف قضت سنوات صباها حتى فقدت رغبتها وجرأتها على التطلع من النافذة إلى الطريق فهو من المحظورات في عرف من تنتمي لهم؛ الأسر التي ترى أن شرفها قد اختصرفي بناتها.

أبوها بالكاد ينظر إليها وهو يحادثها ولا يلقِ لها بالًا ودائم السخرية من كلماتها وتكاد لا تفتح فمها أمامه إلا أن تسأله هل يريد شيئًا؟ تستيقظ من صباحها فلا تهدأ ولا تجلس إلا ليلًاأو حتى تصيبها إغماءة فتسقطها من كثرة الإرهاق.

كانت ريم وعبير تلتقيان في منزل صفية كل خميس فصفية تخيط لهما بعض ملابسها، وهما تحكيان لها ما يغيب عنها من أحداث أسبوعها، وتأخذان لها قصصًا ومقتطفات من مجلات الموضة والفن وتتلقفها كسجين يتلهف أخبارما يدور خارج أسواره.

واليوم أتيا لها بأنباء عن ثورة فيالشوارع تجوب المدن والطرقات تطيح بكل ظلم وفساد علق بمجتمع يستحق حياة أفضل.
وانطلقت الفتيلت الثلاث كموجة صغيرة تلقفها مد فأطلقها يمحو بها كل ما يقف أمامه من تعاسات وأحزان نفوس عطشى للحرية.

عبيروصفية وريم كن يهتفن ويغنين بين صفوف المتظاهرين ويجاهرن بعدائهن للسلبية والظلم، وقد تكاتفن وشددن من أزر جموع الملتفات حولهن من نساء وراء كل منهن قصة من ألم أوأمل.

كيف تأتى لهذه الجموع أن تخرج على قلب واحد. تلك كانت معجزة النفس البشرية بطفراتها التي تقفز بها من عوالم مظلمة بالظلم والقهر نحو أخرى تأمل فيها عدلًا وحرية وكرامة إنسانية.

obeikandl.com

عنوان الكتاب	تصنيف	اسم الكاتب	سنة
أريج الجذور	رواية	رامى عباس	2013
مازالت الأشواك بجسدى	رواية	نادية البرعى	2013
إلا الآن	م.قصصية	سهير شكرى	2013
امرأة وحيدة أحبتنى	م.قصصية	مصطفى ثابت	2013
رئيساً لمدة 12 دقائق	م.قصصية	أسامة الحسينى	2012
أميرة الدموع	رواية	محبوبة سلامة	2012
بعث رُوِي	تاريخ	عادل خميس	2013
أيّووووه يا بيسو	ساخر	قدرى نوّار	2013
فيها لامؤاخذة حاجة حلوة	ساخر	خالد بيومى	2013
هيدرا .. رياح الشك والريبة	تاريخ	زهير الكاشف	2013
رفاهية الألم	فلسفة	سالم ابراهيم سالم	2014
عالم بلا مخلّص	فلسفة	سالم ابراهيم سالم	2012
عريانين عيون	شعر.ع	نور الدين الشريف	2012
الحكاية	شعر.ع	احمد نصر	2012
ألم واحد	شعر.ع	م.شعراء	2012
قوللى إنت مين	شعر.ع	نادر عبد المنعم	2012
خاطرة من الجنة	شعر.ف	يسرية سلامة	2012
بريد الكحل واغرباء	شعر.ف	رشا زقيزق	2012
نقوش على خرز أزرق	شعر.ف	سامح سكرمة	2012
حجات عنيدة	شعر.ع	نور البنا	2012
الاستنزاف التاريخى للفائض الإقتصادى	اقتصاد	محمد مدحت	2013
نظرة	م.قصصية	نور الدين الشريف	2013
حديث الديناصور البنفسجى	م.قصصية	نتاج ورشة أدبية	2013
رحلة اليقين	فكر	محمد عبد الغنى	2013
الحياة في البلاط الملكى المصرى	مترجم	الفريد جوشوا باتلر	2013
هذيان كل يوم	م.قصصية	مأمون المغازى	2013
رامى مراد والغابات الكونية	رواية	مأمون المغازى	2013
مكتوب	شعر	محمدحسين	2013
شوشو والقناية	أطفال	فضل مسعود	2013
كوكو ابوعرف دوكو	أطفال	فضل مسعود	2013
بوتشر كلب الأسد	رواية	فضل مسعود	2013
حنين	رواية	سهير عبد الله	2014

كاترينا	أطفال	عبد الله لخليفلى	2014
فورمالين	م.قصصية	شريف الغنّام	2014
ألف نيلة ونيلة	أدب ساخر	أحمد السعيد	2014
بين الحب والحرب	رواية	محمد عزب	2014
انسان حكيم ناجح	تنمية بشر	خالد عمارة	2014
وجفت البئر رسالة الى امرأة	نصوص	هانى عثمان	2014
نوكيا	رواية	باسم سليمان	2014
قصر غيلان	رواية	احمد بن عمارة	2014
الأنفوشى	رواية	محمد عزام	2014
موضوع	شعر	مصطفى فؤاد	2014
مقامات الكيلانى	ادب ساخر	ماجد هاشم	2014
روشتات شعرية	شعر	أحمد السعيد	2014
الملكومانيا	أطفال	رضوى عادل	2014
زوجات وأكروبات	م.قصصية	نادية البرعى	2014
الأنفوشي	رواية	محمد عزام	2014
مات حبا و عدوه انتحارا	شعر	أحمد إبراهيم	2014
اعترفي بيا	شعر	محمود محمد حسن	2014
رحلة فى صدر الأبدية	م.قصصية	بهاء الدين يحيى	2014
قوارير	م.ق.ج	شيرين طلعت	2014
سكارلت	م.ق	عمر كمال الدين	2014
أرض رشيدة	رواية	عمر أحمد سليمان	2014
أقفال العشق	رواية	محمد عزب	2014
ستريتش	رواية	نضال كرم	2014
لا تذهب للطبيب النفسى	انسانيات	وهبه نور الدين	2014
حظر إرادة	تنمية بشرية	نهى مجدى	2014
ميكرسكوب	أدب ساخر	ايمان ابراهيم	2014
تغريبة لبغداد	شعر فصحى	سامى طه	2014
أسس قيام العراق	تاريخ	سامى المبارك	2014
فاوست مصرى	مسرحية	محمد بهاء الدين	2014
مقالات الزهور	انسانيات	نور الدين الوافى	2014
مدام خياط	رواية	سمير ذكى	2014
سرابيل	م.ق.ج	هشام أبو سعده	2014
قلقاس بن فرناس	رواية	عمر البدالى	2014
استرجل واقرا 10 كتب	تنمية بشرية	باسم الجنوبى	2014

سرابيل	ق.ق. ج	هشام ابو سعده	2014
الخطايا	رواية	لويزة الجبالي	ط
حكايات ممنوعة	ق.ق.	لويزة الجبالي	ط
نقوش الباسم	خواطر	باسم عوض الله	2014
فينوس	رواية	ابراهيم السيد	2014
آخر وريقات التوت	شعر	عمرو عصام	2014
أنين اوسر	تاريخ	عادل خميس	2014
التحليل الجغرافي للأدب	نقد أدبي	جهاد ابو اسماعيل	2014

obeikandl.com

obeikandl.com

13953/ 2014ط1

الترقيم الدولى /5– 79 – 5311 – 977 – 978

مطبعة ابراهيم سالم

01022661632– 01224272327

احصل على نسختك من أعمال ليليت من مقر الدار بتخفيض 30%

obeikandl.com